الاوبئة وآثارها الدينية والنفسية على المجتمع في مصر وبلاد الشام منذ القرن الخامس حتى القرن العاشر للهجرة – دراسة تاريخية –

الكلمات المفتاحية: مصر، الشام، الاوبئة

أ. م. د. رياض سالم عواد
جامعة كركوك/ كلية الآداب
riadawad90@uokirkuk.edu.iq

الملخص

شهدت مصر وبلاد الشام خلال المدّة من القرن الخامس حتى العاشر للهجرة وقوع نحو (١٤٦) وباء توزّع على مدن البلدين، إذ خلفت هذه الأوبئة خسائر فادحة في الأرواح ناهزت أعدادها الملايين، ممّا أثّرت بشكل كبير على حياة أفراد المجتمع آنذاك لا سيما حياتهم الدينية والنفسية، وأن هدف الدراسة تسليط الضوء على هذه الآثار، والتعرّف على ردود أفعال أفراد المجتمع هناك المتعلقة بحياتهم الدينية والنفسية ابّان وقوع الأوبئة في بلادهم.

تم تنظيم خطّة الدراسة في ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول الاوبئة في المنظور العقدي لدى المجتمع في مصر وبلاد الشام، أمّا المبحث الثاني فانّه أختصّ بدراسة أثر الأوبئة على الحياة الدينية في البلدين سلباً وايجاباً، في حين اهتم المبحث الثالث ببيان آثارها النفسية على أفراد المجتمع حينذاك، بعرض أهم العوامل التي أدّت إلى انهيار الوضع النفسي للسكّان، مع بيان آثار هذا الانهيار، ثمّ اختتمت الدراسة بأهم النتائج التي خرجت بها.

المقدمة

ان دراسة تاريخ الأوبئة وآثارها له أهميّة بالغة في تسليط الضوء على حياة المجتمع، ومعرفة ردود أفعاله تجاه الأزمات التي تواجهه جرّاء وقوع هذه الأوبئة، فعندما تنتشر الأمراض المميتة بين الناس لا شك سيكون لها تأثيراً مباشراً على الحياة الدينية والنفسية للفرد، لأن خطر الوباء بات يهدد حياته والتي هي أثمن شيء يمتلكه الإنسان، ممّا ينعكس أثر ذلك في تعامله الديني في المجتمع كونه قد يفارقه إذ ما مات بالمرض، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الشعور بدنو الأجل المحتوم حسب توقّعه يؤدّي إلى اضطراب وضعه النفسي واختلال توازنه الذاتي، وهنا تكمن أهميّة هذا الموضوع عند دراسة تاريخ الأوبئة وآثارها الدينية والنفسية على المجتمع في مصر وبلاد الشام، هدفاً في التعرّف على ردود أفعال أفراد المجتمع هناك المتعلقة بحياتهم الدينية والنفسية ابّان وقوع الأوبئة في بلادهم.

وكان لاجتياح وباء كورونا لدول العالم وما تركه من آثار دينية ونفسية في مجتمعاتها، الدافع الرئيس في اختيار موضوع الدراسة، أمّا سبب تحديد اطاريها المكاني والزماني المتمثّل ببلاد الشام ومصر منذ القرن الخامس حتى العاشر للهجرة هو لكثرة ما تعرّض له هذين البلدين من أوبئة آنذاك، ومن أهم الأسئلة المطروحة كمشاكل أمام الدراسة والتي تسعى إلى معالجتها والاجابة عليها: ما هي عقائد المجتمع الإسلامي في مصر وبلاد الشام تجاه طبيعة الوباء وسبب وقوعه؟، وهل تأثّرت هذه العقائد بأفكار الفلاسفة الإغريق، أو عرب الجاهلية بصدد ذلك؟، وهلّ كانت للأوبئة أثاراً ايجابية أو سلبية على الحياة الدينية للأهالي في كلا البلدين؟، وهل أدّت هذه الأوبئة إلى انهيار الوضع النفسي لأفراد المجتمع آنذاك؟ فإن كانت الإجابة نعم، فما هي الأسباب المباشرة التي أدّت إلى الانهيار، وما هي نتائجه؟ .

تم تنظيم خطّة الدراسة في ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول الاوبئة في المنظور العقدي لدى المجتمع في مصر وبلاد الشام، إذ ناقش عقيدتهم في مسبّبات وقوع الاوبئة، مع بيان العقائد اليونانية القديمة المتعلقة بعلم التنجيم ونظرية الأخلاط والأركان الأربعة وعلاقتها بالأوبئة، ومناقشة أثر هذه الأفكار على عقائد المجتمع في البلدين، فضلاً عن عرض عقيدة عرب الجاهلية حول الأوبئة واثر نظرتهم تجاهها على عقائد اهل الشام ومصر، أمّا المبحث الثاني فانّه أختصّ بدراسة أثر الأوبئة على الحياة الدينية في البلدين سلباً وايجاباً، في حين اهتم المبحث الثالث ببيان آثارها النفسية على أفراد المجتمع حينذاك، بعرض أهم العوامل التي أدّت إلى انهيار الوضع النفسي للسكّان، مع بيان آثار هذا الانهيار، ثمّ اختتمت الدراسة بأهم النتائج التي خرجت بها.

استفادت الدراسة من مجموعة من المصادر في نهل معلوماتها منها كتب الحديث الشريف ككتاب صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، وكتاب صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، اللذان افادا الدراسة في بيان عقائد المسلمين حول طبيعة الأوبئة ومسبّباتها، في حين اعتمدت الدراسة بشكل رئيس على كتب التاريخ العام والتراجم والطبقات لا سيما كتب مؤرّخي مصر الذين اهتموا بشكل كبير بتدوين تاريخ الأوبئة في مصر والشام، وقد أفادت الدراسة من هذه الكتب في جميع مباحثها دون استثناء، ومنها مثالاً لا حصراً كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة (ت٦٦٨هـ)، حيث اهتم هذا الكتاب بنقل افكار ونظرة الفلاسفة الإغريق تجاه الاوبئة وطبيعتها واسباب وقوعها، وكتاب

السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، وانباء الغمر بأبناء العمر لابن حَجَر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، ونيل الأمل في ذيل الدول لزين الدين الملطي (ت٩٢٠هـ)، إذ عنت هذه المصادر بنقل أحوال المجتمعين المصري والشامي لا سيما الدينية والنفسية عند حدوث الأوبئة، ونقلوا للقارئ صورة حيّة عن ذلك الزمن كونهم عاصروا وقوع الأوباء وآثارها آنذاك.

المبحث الأول: الاوبئة في المنظور العقدي لدى المجتمع في مصر وبلاد الشام:

الوباء هو كل مرض ينتشر او يعم بين افراد المجتمع في ذات الزمان والمكان[١]، ومن أشهر الأوبئة التي عاثت فساداً بأرضي مصر والشام خلال القرون محور البحث وباء الطاعون فضلاً عن الأمراض الاخرى كالجدري والحميّات وغيرها[٢]، إذ بلغ عدد الأوباء التي اجتاحت تلك الديار قرابة (١٤٦) وباءً، زهقت أرواح الآلاف المؤلّفة، بل ناهزت الملايين من أفراد المجتمع المصري والشامي، فأزاغت قلوبهم، وأرجفت حناجرهم، وأدخلت نفوسهم في دوّامة الهلع والفزع والخوف من شدّة ما لاقوه من أهوال آثار تلك الأوبئة آنذاك، جعلت منهم سكارى يوم القيامة، وحيارى عمياً يبحثون وراء أسباب وقوع وانتشار هذه الأمراض، وسبل النجاة منها، وبعد التقصّي الدقيق لردود أفعال أفراد المجتمعين المصري والشامي لوحظ اختلاف هذه الردود بحسب ما دفعتهم معتقداتهم تجاه مسبّبات حدوث هذه الأوبئة، وطرق الخلاص منها، إذ ذهب شطر من افراد المجتمع مذهب عقائد المسلمين المؤمنين بأن كل مرض او وباء هو مقدّر من الله ﷻ، ينزله على البشر ويرفعه متى يشاء[٣]، وشطر آخر أرجع اسباب وقوعها وفشوها بين الناس إلى الطبيعة وتقلباتها تأثراً بعقائد أطباء وفلاسفة اليونان القدماء[٤]، أو إيماناً بعقائد عرب الجاهلية[٥]، وذلك ما ستناقشه بشيءٍ من التفصيل صفحات هذا المبحث بإذن الله تعالى .

اولاً: عقيدتهم في مسبّبات وقوع الاوبئة:

١. الاعتقاد بالفساد سبباً في مبعث الأوبئة:

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٦]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا

تَخْوِيفًا﴾[٧]، أذ بيّن الله ﷻ في هاتين الآيتين الكريمتين أن ما يواجه البشر من كوارث في البر والبحر هي آيات يرسلها إليهم ليصيبهم بها جزاءً بما ارتكبوه من معاصي، وانحرافهم عن طريق الحق، وتخويفاً وتحذيراً لهم لإعادتهم الى السراط القويم، وتركهم الأفعال التي نهاهم عنها[٨]، وآمن الكثير من اهل مصر والشام انّ الأوبئة هي آية من آيات الله ﷻ اصابهم بها جزاءً بما اكتسبته ايديهم من الذنوب، إذ أوردت لنا المصادر التاريخية التي تحدّثت عن الأوبئة الكثير من الشواهد والأدلّة حول اعتقادهم هذا، ومنها عندما انتشر الطاعون القاتل في جميع مدن مصر سنة (٧٤٨هـ)، واستمر فيها الى سنة (٧٤٩هـ)، ثمّ انتقل إلى سائر المدن الشامية مستمراً الى العام (٧٥٠هـ)[٩]، كان بعض الناس يلهجون بأن اسباب وقوع هذا الوباء هو نتن الهواء، فيرد عليهم الشاعر زين الدين ابن الوردي (ت٧٤٩هـ) الذي كان معاصراً لهذا الوباء[١٠] قائلاً[١١]:

"قالوا فساد الهواء يردى" "فقلت يردى هوى الفساد"

"كم سيّئات وكم خطايا" "نـــادى علـــيكم بهـــا

إذ بيّن لهم ان سبب هذا الوباء ليس فساد الهواء وانما فساد المجتمع فانزل الله ﷻ عليهم هذا الطاعون.

وفي سنة (٨١٨هـ) فشا الطاعون في القاهرة ومصر لمدة اربعة اشهر[١٢]، وكانت الأهالي آنذاك مؤمنة بأن سبب وقوعه هو شيوع المنكرات في المجتمع فعمدوا إلى محاربتها، ومنها انهم أمسكوا بشخص كان مخموراً فطافوا به في شوارع المدينة، ثم ابرحوه ضرباً حتى مات بين ايديهم، وحرقوا جثته بعد ذلك[١٣]، وفي عام (٨٢٢هـ) عمّ الطاعون وأمراض الحميّات أرض مصر[١٤]، وكما يبدو انّ الاهالي كانوا يعلّلون اسباب فشو هذه الاوبئة بينهم لاقتراف الناس المعاصي، وشيوع الظلم بينهم، فحلّ بهم سخط الله ﷻ، وأكّد ذلك المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ) بالقول: ((وقد فشت الأمراض من الحميّات وبلغ عدد من يرد الديوان من الأموات نحو الثلاثين في اليوم، والظلم كثير لا يتركه إلا من عجز عنه، والعمل بمعاصي الله مستمر، ولله عاقبة الأمور"))[١٥].

وعندما ضرب الطاعون مدن مصر سنة (٨٣٣هـ) جمع الملك الاشرف برسباي (ت٨٤١هـ)[١٦] علماء الدين في مصر ليستشيرهم في سبل الخلاص من الطاعون، فأشاروا

عليه بكف الناس عن الذنوب، ودرء المظالم[١٧]، وذلك يوحي بأنّ السلطان ورعيه كانوا مؤمنين بأن سبب هذا الوباء هو الفساد المستشري في المجتمع، وهو على نوعين الأول يتمثّل باقتراف الذنوب من قبل الناس، أمّا الثاني فالمقصود به المظالم التي كان المصريون يعانوها آنذاك على يد مماليك السلطان، وبيّن ذلك المؤرّخ القاهري ابن تغري بردي قائلاً: ((وعظم الوباء في المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة الذين كثر فسادهم وشرّهم وعظم عتوّهم وضرهم، بحيث إنه كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مملوكا مرضى فيموت"))[١٨]، أي انه عزا فتك الطاعون بالجنود إلى طغيانهم، وكثرة شرهم وفسادهم بالمجتمع، فحلّ عليهم عقاب الله ﷻ، وعندما فتك الطاعون مرّة اخرى بأهل الشام ومصر سنة (٨٤١هـ)[١٩]، كان السلطان الاشرف برسباي حاضراً للاستماع في مجلس الحديث الشريف فسأل الحضور من القضاة والفقهاء عن الذنوب التي يرتكبها الناس، هل يعاقبهم بها، وما هي هذه الذنوب؟، فأجبوه بأن الزنا إذا فشا بين الناس حلّ بهم الطاعون، وأشاروا إليه أن النساء يخرجن في الطرقات ليلاً ونهاراً وهنّ متبرجات[٢٠]، وهو شاهد جليّ على الاعتقاد الجازم من السلطان والعلماء بأن ذنوب البشر هي السبب في وقوع الأوبئة بين الناس، وكذلك الحال عند أهل دمشق عندما استباحهم طاعون هذا العام أي (٨٤١هـ)، كانت الفاحشة مستشرية بينهم، فكفوا ايدهم من ارتكابها اعتقاداً منهم بأنها سبب نزول الوباء بين ظهرانيهم، ولكن ما أن خفّ عنهم الطاعون عادوا إلى سيرتهم الأولى، فباغتهم الوباء مرة ثانية بوقعٍ أشد من السابق، وأكّد المؤرّخ زين الدين الملطي (ت٩٢٠هـ)، اقتران أو تزامن نزول هذا الطاعون في المرتين مع ارتكاب الذنوب في المجتمع الدمشقي بالقول: ((وكثر الوباء بدمشق وتلك النواحي حتى كاد أن يفنى الناس، فأخذوا في الإقلاع عن الذنوب، وأغلقوا الخمامير، وأقاموا البغايا ... فكاد الوباء أن يرتفع وخفّ، فأعاد الظلمة تلك القبائح، فعاودهم الوباء وشنّع فيهم"))[٢١]، وفي سنة (٨٩٧هـ) دخل الطاعون أرض مصر، وكان قد انقطع عنهم لمدّة ستة عشر سنة، إذ إنّ آخر طاعون حلّ بهم كان سنة (٨٨١هـ)[٢٢]، وعلّل المؤرّخ ابن ايّاس ان سبب عودة الطاعون الى مصر بعد انقطاع دام لمدّة ستة عشر سنة هو انّ المعاصي قد فشت بينهم كالزنا، وشرب الخمور، وأكل الربا، وجور المماليك بالأهالي، فعاد إليهم الطاعون مرة اخرى[٢٣].

ومن الجدير بالإشارة انّ ابن ايّاس في محور حديثه عن احداث وباء سنة (٨٩٧هـ) سالف الذكر، بيّن اعتقاد الحافظ والمؤرّخ المصري ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) حول

بطبيعة أو أصل وباء الطاعون وسبب نزوله، إذ يفسّر ابن حجر حكمة نزول الطاعون تحديداً عند شيوع الزنا، فبما إنّ عقوبة الزنا هي الموت، وعندما لا يقام الحد على الزاني يرسل الله ﷻ الجن ليقتلوا الزناة، ولمّا كان الزنا يقع من بني آدم سرّاً، يسلّط الله تعالى عليهم الجن يقتلوهم سرّاً من حيث لا يرونهم، وقاعدة العذاب انّه إذا نزل يعمّ المستحق له وغير المستحق، وانّ الرحمة لا تكون إلّا مخصوصة[٢٤]، وهنا عكس لنا ابن حجر الاعتقاد الذي يؤمن به المسلمون بسبب نزول الطاعون، وانّه في اصله طعن الجن استناداً إلى ما جاء في حديث الرسول محمد ﷺ حول أصل الطاعون بأنه: ((طَعْنُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ))[٢٥].

وممّا تقدم من شواهد ساقها لنا المؤرخين تثبت أنّ الكثير من أفراد المجتمع في مصر وبلاد الشام خواصّاً وعوام كانوا يؤمنون يقيناً ان الفساد والابتعاد عن دين الله ﷻ هو السبب المباشر في نزول الوباء عليهم وقتذاك.

٢. العقائد اليونانية حول مسبّبات الامراض والاوبئة وأثرها على المجتمع المصري والشامي:

أ- الاعتقاد بحركة النجوم وأثرها في وقوع الأوبئة (علم التنجيم):

علم النجوم يعرف بالعربية بعلم التنجيم، وباليونانية: إصطرنوميا، وهي على مقطعين إصطر وتعني: النجم، ونوميا: العلم، وهو علم يعنى بدراسة الفلك والكواكب، والاخيرة عند المهتمّين بهذا العلم على نوعين، كواكب سيّارة وهي: الشمس والقمر وزحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد، وكواكب ثابتة وتشمل سائر النجوم في السماء ما خلا السبعة السيّارة أعلاه، وسمّيت ثابتة لأنها تحفظ أبعادها على نظام واحد ولا تسير عرضاً، وتكون في خمس وأربعين صورة، اثنتا عشرة صورة منها تقع في وسط الفلك وهي الأبراج الاثني عشر: الحمل والثور والسرطان والجوزاء والأسد والميزان والسنبلة والعقرب والقوس والدلو والحوت والجدي، ويعتقد المنجّمون أنّ التشكلات الفلكية وحركة الكواكب لها تأثير مباشر على الحوادث أو الكوارث على اختلافها التي تحدث في الأرض[٢٦]، أو انهم يتنبؤون بوقوعها بُعيد حركة الكواكب وهذا خوض في الغيبيّات[٢٧]، وذلك منهي عنه من الله ﷻ، ورسوله الكريم محمد ﷺ، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٢٨]، وكذلك قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ سِحْرٍ، مَا زَادَ زَادَ، وَمَا زَادَ زَادَ))[٢٩]:

ان العلماء الاغريق ابرز من خاضوا بهذا العلم منهم الفلكي المنجّم بطليموس (ت١٥٠م)، كان له اعتقاد راسخ أن لحركة الكواكب في السماء أثراً في وقوع الكوارث الطبيعية وحدوث الأمراض في الأرض، ومن معتقداته أنه إذا اقترنا كوكبي المريخ وزحل في برج السرطان سوف يزلزل العالم[٣٠]، وكذلك الطبيب الفلكي المنجم جالينوس (ت٢١٦م) كان يعتقد بأن لأوجه القمر تأثيراً مباشراً في أحوال المرضى[٣١]، وقد تأثر بعض سكّان مصر والشام من العلماء وغيرهم بمعتقدات هؤلاء الاغريق ومن ذهب بمذهبهم حول حركة الكواكب وتأثيرها في الأرض وما عليها، وصاروا يردّدون أقوالهم ويركنون إليها عند بحثهم وراء أسباب وقوع الأوبئة في مصر وبلاد الشام أبّان القرون مدار البحث، ففي العامين (٤٤٦هـ) و(٤٤٧هـ) ضرب الوباء الفسطاط، ثمّ تحوّل بعدها إلى الشام[٣٢]، إذ وفيه تحدّث الطبيب أبو الحسن المختار بن الحسن بن بطلان (ت٤٥٨هـ)، نزيل القاهرة عن اعتقاده في اسباب نزول هذا الوباء أنه عندما طلع الكوكب الأثاري في برج الجوزاء ونقص منسوب نهر النيل سنتي (٤٤٦هـ) و(٤٤٧هـ) وقع الوباء في مصر[٣٣]، ثمّ عقّب قائلاً: ((وصحّ إنذار بطليموس القائل الويل لأهل مصر إذا طلع أحد ذوات الذوائب وأنجهم في الجوزاء، ولمّا نزل زحل برج السرطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة، واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام واضطربت أحوال ملوك الأرض وكثرت الحروب والغلاء والوباء"))[٣٤]، ومن هذا النص يتبيّن مدى تأثّر ابن بطلان بأقوال بطليموس، إذ يعتقد بوجود علاقة مباشرة ما بين حركة النجوم ومستوى نهر النيل واثر ذلك في وقوع الوباء في مصر وغيرها.

وفي سنة (٧١٨هـ) منعت السلطة الحاكمة في دمشق المنجّمون أن يكتبوا على التقاويم النجمية أحكاماً تستند إلى اعتقاداتهم الغيبية[٣٥] في اشارة إلى وجود من يعارض هذه المعتقدات التي شاعت بين افراد المجتمع آنذاك، ويذكر المؤرّخ المصري تقي الدين المقريزي في أحداث سنة (٧٤٩هـ) أنّ الوباء في دمشق كان خفيفاً قياساً بالوباء الذي كان منتشراً في طرابلس وحلب وحماة، ولكنه اشتد على مدينة دمشق في شهر رجب عندما أضحت الشمس في برج الميزان، وهي بداية دخول فصل الخريف إذ هبّت ريح شديدة جداً في منتصف الليل استمرت إلى ضحى اليوم التالي، وعمّت بعدها ظلمة دامسة حتى كان الرجل لا يرى بجانبه، ثم انجلت العتمة فعلت وجوه الناس صفرة ظاهرة، وبعدها أخذ فيهم الموت يحصد الأرواح

بالآلاف[٣٦]، وعندما انتشر الطاعون وامراض السعال والحميّات في بلاد الشام ومصر سنة (٨١٦هـ)[٣٧]، علّل المقريزي سبب تذبذب شدّة الوباء بين التزايد والتناقص حينذاك إلى حركة الكواكب فيذكر ان الوباء كان في شهر صفر يتزايد ويتناقص لأن الشمس انتقلت إلى برج الثور والجو أصبح رطباً حارّاً محرقاً، وفي آخر برج الثور اشتد الحر فتزايدت الأمراض[٣٨]، ثمّ يذكر ابن حجر العسقلاني في محرم سنة (٨١٩هـ) عندما نُقلت الشمس إلى برج الحمل ودخل الربيع ابتدأ الطاعون في القاهرة[٣٩].

وفي العام (٨٢٢هـ) فشا الموت بالطاعون في القاهرة ثم سائر مدن الوجه البحري لمصر (الشمال)، وكذلك مدنها الشرقية والغربية بسبب حلول الشمس في برج الحمل على حد تفسير مؤرّخي مصر المقريزي وزين الدين الملطي[٤٠]، وأثناء وباء العام (٨٢٥هـ) الذي اجتاح القاهرة والوجه البحري لمصر يعزو المقريزي سببه إلى انحطاط مستوى ماء نهر النيل في فصل الخريف[٤١]، وكذلك عندما سرد الروايات عن وباء العام (٨٣٣هـ) الذي أفنى أرواح أهل الشام ومصر انّه في منتصف شهر جمادى الآخرة من العام المذكور بدأ الوباء يتناقص في القاهرة شيئاً فشيئاً حتى انقطع، ولكن عندما تحوّلت الشمس إلى برج الحمل ودخل فصل الربيع عاد الطاعون يحصد بأرواح أعيانها وكبرائها وكل من له شهرة آنذاك، وكان قبل ذلك هذا الوباء يضرب الأطفال والخدم فقط، وفي التاسع والعشرين من الشهر ذاته خرج بعد الغروب بقليل كوكب بقدر حجم القمر في ليلة البدر، مرّ من المشرق باتجاه القبلة إلى جهة المغرب، وتطاير منه شرر كثير تناقص بعده الوباء في القاهرة[٤٢]، ويلاحظ في هذه الرواية انّ المقريزي أعتقد بوجود علاقة وثيقة ما بين حركة الكواكب وشدّة الوباء، فضلاً عن تأثيرها بالفئة العمرية للإنسان وطبقته الاجتماعية، أي ان الطاعون في هذه السنة كان على موجتين الأولى ضربت الأطفال والعبيد، والموجة الثانية خصّت الكبار وأعيان البلد، وما اغرب من رواية رؤية الجرم ذي الشرر إلّا هذه الرواية والاعتقاد بها.

وخلال طاعون العام (٨٤٨هـ) الذي حصد أرواح الآلاف من الأطفال والرقيق في مصر، أخذ يتناقص بعدها تحديداً في يوم الجمعة الثالث من صفر من العام المذكور، إذ يشير ابن حجر العسقلاني إلى هذا التاريخ على انه يوم وجود الشمس في برج الجوزاء، حيث بدأ المطر يتساقط خفيفاً بغير رعد، سبقته ريح عاصفة بتراب منتشر سكن في الحال، واصبح الاهالي يتحدثون بأن الطاعون قد تناقص عمّا كان قبله[٤٣]، وهذا يوحي بأن المجتمع في مصر أيضاً

كان يراقب أحوال الجو ويعتقدون بعلاقته بشدّة الوباء، ثم يذكر ابن تغري بردي ان الموت انتشر في القاهرة بغير طاعون في شهر محرم من العام (٨٥٦هـ)، وعظم انتشاره عندما انتقلت الشمس إلى برج الحوت[٤٤]، وذلك يعني في اعتقاده ان حركة الكواكب تزيد من عدد الأموات وأن لم يقع الطاعون فيهم، وفي شهر ربيع الآخر من العام (٨٦٤هـ) يذكر المؤرخ المصري ابن تغري بردي ان الطاعون انتشر في القاهرة وهو الشهر الذي تنتقل فيه الشمس إلى برج الحوت[٤٥]، أمّا في رواية زين الدين الملطي عن وباء هذه السنة فانه يذكر ان عدد الأموات في الطاعون الذي اجتاح مصر والقاهرة سنة (٨٦٤هـ) عندما كانت الشمس في برج الحوت بلغ (٤٠) ميتاً خلال اليوم، وعندما انتقلت الشمس إلى برج الحمل ازداد عدد الاموات المسجلين في اليوم الواحد إلى (١٧٠) ميتاً[٤٦]، وهو اعتقاد واضح من الأخير انّ لحركة الكواكب أثر في زيادة أعداد الموتى.

واستناداً إلى ما تقدّم من عرض للنصوص التاريخية التي اوردها مؤرخي الأوبئة آنذاك وجلّهم من مصر، يتبيّن لنا اعتقاد المجتمع في مصر وبلاد الشام وعلى رأسهم المؤرّخين بحركة النجوم وأثرها في وقوع الأوبئة، تأثراً بعقائد العلماء اليونانيين القدماء (الاغريق) الذين اشتغلوا بعلم التنجيم حينذاك.

ب- الاعتقاد بنظرية الاخلاط والاركان الاربعة:

لم تنتهي حدود تأثير الفلسفة الإغريقية وعقائدها على أفكار ومعتقدات المجتمع في بلاد الشام ومصر حول مسبّبات وقوع الأوبئة عند علم التنجيم، وانّما تعدّى هذه المرّة إلى تأثّر أهالي مصر والشام بمختلف مستوياتهم بما يعرف بنظرية الأخلاط والأركان الأربعة التي تبنّاها الفلاسفة اليونان القدماء منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وقبيل الخوض في طبيعة معتقدات المجتمع المصري والشامي حول سبب حدوث الأوبئة في ارضهم استناداً إلى هذه النظرية لابدّ من عرض تعريفي سريع عن نظرية الأخلاط والاركان الأربعة وعلاقتها الأوبئة من وجهة نظر الفلاسفة الإغريق.

ان نظرية الأخلاط الأربعة تعود للفيلسوف والطبيب الاغريقي أبقراط (ت٣٧٠ ق م)، إذ يعتقد في نظريته ان جسم الانسان يتكون من أربعة أخلاط أو تراكيب وهي الدَّم والبلغم والمرّتين الصفراء والسوداء، وهي تتولّد في باطن الأرض، وأصل خلقها من أربعة أركان أو عناصر وهي النار، والهواء، والماء، والارض[٤٧]، وبيّن في كتابه الذي وسمه بعنوان

(الأخلاط)[٤٨]، ان الانسان يتمتع بصحّة كاملة إذا امتزجت فيه هذه الأخلاط أي الدم والبلغم والمرّتين بنسبها الصحيحة، وإن الألم أو المرض ينشأ من نقص بعضها أو زيادتها أو انفصالها عن بعض، وأنّ هذه التغيّرات في الأخلاط تحدث بسبب الهواء وتغيّراته حسب فصول السنة، والمكان الذي يعيش فيه الانسان، وذكر ذلك كلّه في كتابه الآخر المسمى (الأهوية والمياه والبلدان)[٤٩]، ومن الفلاسفة اليونان الذين أيّدوا هذه النظرية وتحدّثوا بها الطبيب جالينوس (ت٢١٦م) من خلال كتابه (الاسطقسات) وتعني باليونانية الأصل، وأنّ الأركان أو العناصر الأربعة وهي: الماء والأرض والهواء والنار أيضا تسمى اسطقسات[٥٠]، وفي رأيه ان جسم الانسان يتركّب من الأركان الأربعة الأولى البعيدة عنه وهي: النار والهواء والماء والأرض، والثانية القريبة منه وتتمثّل في تركيب جسم الانسان من الأخلاط الاربعة: الدم والبلغم والمرّتين الصفراء والسوداء[٥١]، وجالينوس يعتقد بأن جميع الأمراض يسبّبها الاختلال في هذه الأخلاط والأركان[٥٢]، وإنّ هذه الاختلالات تنتج حسب فصول السنة الاربعة[٥٣]، وذهب مذهبه كثير من العلماء في الربط بين الفصول الأربعة للسنة واختلال اخلاط جسم الانسان والامراض التي يتعرّض لها[٥٤].

أمّا في بلاد الشام ومصر إبّان وقوع الأوبئة فيها، أعتقد بعض الناس بوجود علاقة بين التقلّبات المناخية خلال الفصول الأربعة وأثرها في حدوث الأمراض في جسم الانسان استناداً الى نظرية الاخلاط الاربعة، ففي وباء العام (٤٤٧هـ) يبيّن الطبيب ابو الحسن بن بطلان (ت٤٥٨هـ)، نزيل القاهرة، ان الوباء قتل أكثر اهل الشام والفسطاط وجميع الغرباء فيهما عندما توسّط الصيف[٥٥]، أي انه يعتقد بوجود علاقة ما بين حرارة الصيف وزيادة وطأة الوباء، وعندما ضرب الطاعون مصر وبلاد الشام في سنة (٨٣٣هـ) في فصل الشتاء عُدّ هذا الطاعون من النوادر لدى السكان لأنهم كانوا يعتقدون بأن الطاعون يحدث في فصل الربيع فقط، غير أنّه وقع هذه المرّة في فصل الشتاء وزال عنهم في الربيع[٥٦]، ويذكر ابن تغري بردي سبب اعتقادهم هذا قائلاً: ((وكان الطاعون أيضاً قد وقع بغزّة والقدس وصفد ودمشق ... وعدّ ذلك من النّوادر لأنّ الوقت كان شتاءً ولم يُعهد وقوع الطاعون إلا في فصل الرّبيع، ويعلّل الحكماء ذلك بأنه سيلان الأخلاط في فصل الرّبيع وجمودها في الشتاء"))[٥٧]، أي انهم كانوا يؤمنون بنظرية الاخلاط والاركان الاربعة، ويذكر تقي الدين المقريزي عندما اشتد برد الشتاء في بلاد الشام سنة (٨٤٠هـ) فشا الموت بالوباء في السكان، ثمّ هبّت ريح باردة في

صفد هلك بعدها الناس[٥٨]، وفي سنة (٨٤١هـ) عندما كان الطاعون متفشّياً في القاهرة هبّت ريح باردة أرعبت السكّان وظنّوا سيموتون جميعاً بعد هذه الريح، لأنهم كانوا على اعتقاد بحلول الموت عقب هبوبها[٥٩]، وعندما اجتاح الطاعون المدن المصرية خلال العامين (٨٦٤هـ) و(٨٧٣هـ) في الفصل الشتاء أندهش المصريين أيضاً لوقوعه في هذا الفصل، لأنهم كانوا يعتقدون بأن الطاعون لا يقع إلّا في فصل الربيع لسيلان الأخلاط فيه حسب رأي أطباء ذلك العصر كما أسلفت[٦٠]، ويذكر المؤرّخ القاهري الزين الملطي في شهر صفر من العام (٨٨٩هـ) بأنّ السماء قد غيّمت، وهاج الحرّ، وهبّت ريح قويّة أضرّت الأبدان، وكدّرت الحواسّ، فخاف كثير من الناس وبعض الأطبّاء بوقوع الوباء ومرض الطاعون فلم يحدث من ذلك شيئاً[٦١].

وبناءً على ما تقدّم من عرض لردود أفعال افراد المجتمع في مصر وبلاد الشام عندما تهب رياح حارّة أو باردة، أو دخول فصل معيّن وخوفهم من وقوع وباء بعدها أو زيادة الوفيّات بينهم، فإنّ ذلك ينم عن اعتقادهم الصريح بوجود علاقة تأثير بين التقلّبات المناخية خلال فصول السنة وحصول الأمراض في أجسادهم إيماناً منهم بنظرية الاخلاط والأركان الأربعة بشهادة مؤرّخي ذلك العصر.

ثانياً: اعتقادهم في عدوى انتقال الوباء:

١. عقيدة عدوى المرض قائمة ضارّة بذاتها (عقيدة الجاهلية):

كان العرب في الجاهلية على إطلاع ومعرفة بكثير من الأمراض وخاصة المعدية منها كالطاعون والجدري والجذام وغيرها، وكانوا إذا وقع عندهم الوباء بهذه الامراض يفرّون منه إلى مكان آخر طلباً للنجاة منه، أو يحجرون المريض ولا يقتربون منه حتى لا ينتقل إليهم المرض، لأنهم يعتقدون في بعض الأمراض انّها تعدي بطبعها، أي أنّ العدوى من هذه الأمراض قائمة ضارّة بذاتها لا بفعل لله تعالى، ولا مناص من حدوث العدوى[٦٢]، وهذا الاعتقاد منهي عنه في الدين الإسلامي استناداً إلى حديث الرسول محمد ﷺ بقوله: (("لا عدوى ولا صفر ولا هامّة، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال: فمن أعدى الأول ؟"))[٦٣] أي لا تقع العدوى من أي مرض إلّا بإذن الله تعالى، كما نهى الرسول محمد ﷺ على عدم الفرار من أرض الوباء بقوله ﷺ: (("سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا

عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه"))[٦٤].

وقد تأثر البعض من أفراد المجتمع في مصر وبلاد الشام بعقائد الجاهلية وآمنوا بأن عدوى مرض الطاعون وغيره من الأوبئة قائمة ضارّة بذاتها، ففرّ قسم منهم خارج مناطقهم التي اجتاحها الوباء، ففي سنة (٦٩٤هـ) رحل الكثير من أهالي مصر إلى بلدان أخرى عندما حلّ الوباء فيها[٦٥]، وعندما عمّ الطاعون مصر والشام سنة (٧٤٩هـ)، كان بعضاً من أفراد المجتمع المتأثّرين بعقيدة عرب الجاهلية بأنّ عدوى الطاعون قائمة ضارّة بذاتها، يجادلون البعض الآخر من الذين يؤمنون بأن لا عدوى للمرض إلا بإذن الله تعالى، وصوّر لنا الأديب زين الدين ابن الوردي (ت٧٤٩هـ) هذا الجدال أبّان وقوع الوباء آنذاك قائلاً[٦٦]:

"فإن قال قائل هو يعدي ويبيد"

"قلت: بل الله يبدي ويعيد"

"فإن جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأوّل"

"قلنا فقد قال الصادق ﷺ " فمن أعدى الأول"

وفي دمشق فرّ منها بعض سكانها خوفاً من عدوى الطاعون المميت الذي اصابها في ذات العام وعن هذا الفرار يقول اديب مصر جمال الدين محمد بن نباتة (ت٧٦٨هـ)[٦٧]:

سر بنا عن دمشق يا طالب فما في المقام للمرء رغبه

رخُصت أنفس الخلائق فيها كل نفس بحبه

وأثناء وباء العام (٨٣٣هـ) الذي استباح الكثير من أرواح المصريين فرّ ساكني القرافتين – المقبرتين – الكبرى والصغرى في القاهرة من السودان إلى أعلى الجبال للنجاة من الوباء[٦٨].

٠٢ عقيدة لا عدوى إلّا بإذن الله تعالى:

لم يتأثّر جميع أفراد المجتمع في مصر وبلاد الشام بعقيدة اهل الجاهلية بأنّ عدوى المرض قائمة بذاتها، ولابد من الفرار من ارض الوباء، بل كان بعضهم مؤمنين إيماناً راسخاً أن عدوى المرض لا تحدث إلا بإذن الله تعالى، وبقوا في مدنهم الموبوءة بجانب أهلهم صابرين محتسبين، راضين بقدر الله ﷻ عملاً بأمر رسول الله ﷺ بعدم الفرار من ارض

الوباء، وإيماناً منهم بشهادة المطعون استناداً إلى حديث الرسول محمد ﷺ عندما سألته امّنا عائشة رضي الله عنها عن الطاعون أجابها ﷺ:(("أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلاّ كان له مثل أجر شهيد"))[٦٩]، وكذلك قوله ﷺ: (("الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله"))[٧٠]، ففي وباء العام (٧٤٩هـ) في مصر لم يغادر أغلب سكان مصر أرضهم، وواجهوا الموت مقبلين على العبادة، مكثرين من الصدقات، وهو يتحاللون فيما بينهم استعداداً للفراق[٧١]، وكذلك الحال في طاعون السنة (٨٣٣هـ) الذي فشا في مصر وبلاد الشام، فمعظم الاهالي لم يغادروا مدنهم وطابت انفسهم للرحيل بالوباء، والرجال يرتادون المساجد وهو يرون نقصان اعداد المصلين جمعة بعد اخرى امّا لوفاتهم أو بسبب مرضهم، والجميع أوصى وتاب وأناب، وغالب الشباب يحملون المسابح بأيديهم وتلهج السنتهم بذكر الله ﷻ، دأب كلّ واحد منهم ارتياد المساجد والصلاة على ضحايا الوباء، والبكاء والرجوع إلى الله ﷻ[٧٢].

المبحث الثاني: الأوبئة وآثارها الدينية على المجتمع في مصر وبلاد الشام:

أنّ ما واجهته مصر وبلاد الشام من عشرات الأوبئة خلال القرون مدار الدراسة، والتي خلّفت الألوف المؤلّفة من الأموات، دون أدنى شك أثّرت سلباً على الأوضاع الدينية في هذين البلدين فيما يتعلّق بوضع المساجد وأداء الصلوات فيها، وكذلك تأثّر موسم الحج وقوافل الحجيج، ولكن بالمقابل كانت هناك آثاراً إيجابية لهذه الأوبئة على الحياة الدينية للمجتمعين المصري والشامي، وذلك ما ستبيّنه صفحات المبحث الثاني من الدراسة:

أولاً: اضطراب وضع المساجد وإغلاقها:

عندما بلغ عدد أموات الأوباء التي اجتاحت مصر والشام آنذاك الآلاف كانت المساجد أولى المؤسسات التي تأثرت وأضطرب لأن جزء من وظيفتها تتمثّل في استقبال الموتى وغسلهم وتكفينهم والصلاة عليهم، وربّما اشغلها ذلك اضطراراً عن أداء الصلاة المكتوبة لامتلاء باحات المساجد بالجنائز، وبالمقابل قلّ عدد المصلّين يوماً بعد آخر بين مريض ومتوفى، كما أغلقت عدد من المساجد لقلّة المؤذّنين، فمن الشواهد التاريخية على هذه الظروف الصعبة التي مرّت بها المساجد آنذاك، في وباء العام (٧٤٩هـ) تعطّل الآذان في عدد من المساجد في مصر، وأغلقت أكثرها فضلاً عن إغلاق الزوايا، وبقيت فقط المساجد

المشهورة الكبيرة يؤذّن فيها مؤذّن واحد[٧٣]، وفي مدينة بلبيس الواقعة على طريق الشام[٧٤] أيضاً اغلقت المساجد لامتلائها بالجنائز، وعدم وجود المؤذنين هناك[٧٥]، وفي القاهرة في المسجد الحاكمي في أحدى الجمع أستقبل هذا المسجد عدداً كبيراً من الأموات حتى تم ترتيبها بشكل زوجي – أثنان اثنان – وامتدت من باب مقصورة الخطابة إلى باب دخول المسجد، والإمام وقف على عتبة هذا الباب للصلاة عليهم، والمصّلين خلفه خارج المسجد، ولنا أن نتصوّر حجم اضطراب هذا المسجد وقتها[٧٦]، وفي برقة بلغ عدد من صلّي عليهم في المسجد في يوم واحد (٧٠٠) ميت[٧٧]، وفي طاعون سنة (٨١٩هـ) الذي باغت مصر والشام بلغ عدد من صلّي عليهم في المساجد أكثر من (١٠٠٠) ميتاً[٧٨]، أمّا أخبار أهوال طاعون العام (٨٣٣هـ) في مصر والشام ومدى ارتباك وضع المساجد وأهلها حينها فهي طويلة ومحزنة في نفس الوقت، ففي السابع من شهر جمادى الآخرة أحصي من صلّي عليهم في مصلّيات القاهرة فبلغ (١٢٠٠) جنازة، وفي المساجد غير المشهورة (١٠٠) جنازة، وفي التاسع من هذا الشهر أي بعد يومين كان عدد من صلّي عليهم في مساجد القاهرة (١٢٦٣) ميّتاً، منها فقط (٤٥٠) ميّتاً في مسجد باب النصر، وفي اليوم التالي أي العاشر من جمادى الآخرة صلّي على (٥٥٠) ميّتاً في الجامع المذكور، وفي اليوم الحادي عشر بلغ من صلّي عليهم في مساجد القاهرة (٢٢٤٦) جنازة، منها (٨٠٠) جنازة في جامع المؤمني، ومثله في جامع باب النصر، ففي مصلّى المؤمني إذ كان يصلّى على (٤٠) ميّتاً في آن واحد، وما أن تنقضي الصلاة عليهم يؤتى بعدد آخر مثله وهكذا[٧٩]، ويصف لنا ابن حجر العسقلاني عدد الأموات الكبير الذين صلّي عليهم في هذا المسجد قائلاً: ((ووصل في الكثرة حتى شاهدت النعوش من مصلى المؤمني إلى باب القرافة كأنها الرخم البيض تحوم على القتلى"))[٨٠]، أمّا مصلّى باب النصر فإنّ الصلاة المكتوبة بطلت في هذا اليوم – الحادي عشر من جمادى الآخرة – لانشغالهم بالصلاة على ضحايا الطاعون دفعة بعد أخرى، إذ كان يُصلّى على الأربعين والخمسين في آن واحد[٨١]، ومن الروايات المحزنة التي عكست حجم المأساة التي كان الأهالي يمرّون بها عندما كانوا يصلّون على أهلهم في المسجد، أنّ رجلاً مات أبنه مطعوناً، وكان عمره سبع سنين وجيء به الى مسجد باب النصر في القاهرة ليصلّى عليه، وما إن وضعوه على الأرض بين الأموات جيء بدفعة ثانية أضيفت عليهم، وبعد انتهاء الصلاة على الجميع، لاحظ بعض المصلّين أن عائلة أخرى أخذت ذلك الولد المذكور توهّماً منها أنه ابنها

لتقارب عمرهما، ثمّ أتى والد الولد الحقيقي وحمل أبناً غير ابنه دون أن يفطن تبدّله[٨٢]، وبسبب كثرة عدد الأموات تناقص عدد المصلّين في المساجد هذا العام، إذ صوّر ابن تغري بردي الذي عاصر هذا الوباء التناقص الحاصل في عدد المصلّين قائلاً: (("وكنا نخرج من صلاة الجمعة إلى بيتنا وقد وقف جماعة من الأصحاب والخدم فنتعاد إلى الجمعة الثانية فينقص منا عدّة كبيرة ما بين ميّت ومريض"))[٨٣].

وفي وباء سنة (٨٤١هـ) في التاسع من شوال أرتبك وضع المصلّين في صلاة الجمعة بجامع الأزهر، لأن الناس كانوا قد صدّقوا إشاعة تقول أنهم سيموتون في هذا اليوم وأنه يوم القيامة لشدّة هلعهم من الوباء، وعندما وقف الخطيب بعد الخطبة الأولى عاد وجلس لمدّة ساعة واذا بأحّد المصلّين يقول: مات الخطيب، فارتج وضع المصلّين، وارتفعت الأصوات، واختلّت الصفوف، لكن الخطيب نهض بعدها ونزل المحراب مباشرة، وصلّى بالناس ركعتين سريعتين، ثمّ جيء بعدد من ضحايا الطاعون وصلّوا عليهم باضطراب دون ارتياح، فصاح احد المصلّين أن صلاة الجمعة لم تصح، فتقدّم أحدهم وصلّى بهم صلاة الظهر جماعة، ثمّ أرتقى خطيب ثانٍ المنبر وخطب خطبتين ونزل ليصلّي بالناس فمنعوه، وقدّموا غيره أمّ بهم لصلاة الجمعة مرة ثانية، وبعدها صاح أحد الحضور أن صلاة الجمعة الثانية لم تصح، فنهج شخص آخر وصلّى بهم صلاة الظهر مرّة أخرى، فعكست هذه الرواية مدى الإرباك الكبير الذي شهدته الصلاة في هذا اليوم في جامع الازهر بسبب الوباء الذي شغل أذهان المصلّين وقتها، فكانت النتيجة أن اقيمت صلاة الجمعة مرتين، كلّ مرّة بخطبة، وأقيمت صلاة الظهر مرّتين أيضاً[٨٤]، وفي طاعون العام (٨٦٤هـ) بلغ عدد الموتى في مساجد القاهرة خلال شهر جمادى الآخرة (٥٠٠٠) جنازة، كانت توضع واحدة فوق الأخرى عند الصلاة عليها في باحة أو حرم المسجد[٨٥]، وبلغ عدد موتى مسجدي باب النصر والبياطرة في القاهرة في طاعون سنة (٨٧٣هـ) لشهر شعبان نحو (٢٠٠) ميتاً[٨٦]، و(٧٠) ميّتاً في الأول من محرّم لطاعون سنة (٨٨٢هـ)[٨٧]، و(٤٠) جنازة في شهر ربيع الأول خلال وباء العام (٨٩٢هـ)[٨٨].

وبالتالي فإن هذه الأرقام الكبيرة التي خلّفتها الأوبئة آنذاك، أدخلت المساجد في مهمّة صعبة جداً أمام استقبالها للجنائز لغسلها وتكفينها ثمّ الصلاة عليها، ممّا خلق إرباكاً كبيراً فيها، فأنعكس ذلك على أداء الصلوات المكتوبة، فضلاً عن إغلاق بعضها لقلّة المؤذنين كما سبق ذكره، وتضاؤل أعداد المصلّين إمّا لموتهم بالوباء، أو لانشغال المصلّي بمرضه، أو

مرض أو موت أحد أفراد بيته.

ثانياً: تأثّر موسم الحج:

كانت للأوبئة المميتة التي حلّت بأهل الشام ومصر أثراً سلبيّاً على مواسم الحجّ ومهمّة تفويج الحجيج، فإمّا يضطر المسؤولون عن إدارة عمليّة تهيئة قافلة الحجّاج إلى تقديم أو تأخير موعد انطلاقها عن تاريخها المعتاد، إذ كانت القوافل تنطلق في منتصف شهر رجب من كلّ عام[٨٩]، أو يقل عدد الذين يرغبون بإداء فريضة الحج لانشغالهم بمرضاهم أو موتهم قبل السفر، أو وفاتهم بالطاعون وهم في طريقهم إلى مكّة الكرّمة لأنهم قد خرجوا وفيهم مصابون بالوباء، فينتشر بينهم المرض إثناء السفر، فضلاً عن تأثّر رحلة الحجّ في موعد انطلاقها لوفاة الأجناد المسؤولين عن حماية قافلة الحجّاج في الطريق، ففي سنة (٥٩٢هـ) أنتشر الوباء في مدن مصر واضطربت أحوال الناس كثيراً، وزُهقت أرواح المئات من المصريين[٩٠]، ممّا أثّر على موعد تهيئة وانطلاق قافلة الحجيج، إذ تمّ تقديم موعدها والأعداد لها في نهاية شهر جمادى الاولى، إي قبل أكثر من شهر ونصف عن موعدها الثابت في منتصف رجب، فنودي في القاهرة ومصر في ذلك الشهر – جمادي الاولى – أن يتجهّز للسفر من له نيّة الحجّ[٩١].

وفي طاعون سنة (٧٤٩هـ) الذي عمّ بلاد الشام ومصر، خرج الحجّاج من مدينة دمشق الى مكّة المكرّمة والطاعون كان متفشّياً بينهم آنذاك، فمات منهم نحو (٥٠) حاجّاً في الطريق قبل وصولهم إلى الديار المقدّسة[٩٢]، وعندما انتشرت الحُميّات في مصر في شهر جمادى الآخر سنة (٧٧٨هـ)، واستمرّت لثلاثة أشهر، مات على اثرها الكثير[٩٣]، أُضطر إلى تقديم موعد انطلاق قافلة الحجّاج إلى السادس من شهر رجب، أي قبل تسعة أيّام عن موعدها، وبسبب انشغال الناس بالوباء أحجم الكثير منهم عن المشاركة في القافلة، وعن ذلك يقول المقريزي: ((وفي يوم الخميس سادسه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر ولم يعهد دورانه فيما سلف قبل النصف من رجب، وكان الناس في شغل عنه بكثرة الأمراض"))[٩٤]، أمّا في طاعون سنة (٨٣٣هـ) القاتل في الشام ومصر، فأنّ قافلة الحجّاج تأخّر موعد انطلاقها إلى الثامن من شعبان إي بعد (٢٣) يوماً، وذلك لموت الكثير من المماليك الرمّاحة الذين مهمّتهم حماية القافلة أثناء مسيرتها، ممّا أضطر بالمسؤولين عن القافلة تأخيرها لحين تدريب وتعليم من بقي منهم على حمل الرمح واستخدامه[٩٥]، كما أمتنع الكثير من الناس اضطراراً على عدم

الذهاب في هذا الموسم لأداء فريضة الحج لانشغالهم بموتاهم[٩٦]، وفي وباء العام (٨٤١هـ) تأخّر موعد رحلة حجّاج بيت الله الحرام من مصر لمدّة ثلاثة أشهر وأربعة أيّام، إذ انطلقت في اليوم التاسع عشر من شهر شوال، لشدّة وقع الوباء وقتله الكثير من الناس، إذ بلغ عدد من صُلّي عليهم في المساجد بمصر في اليوم الحادي والعشرين من هذا الشهر (١٠٠٠) ميّتاً، وهذا العدد سُجّل في يوم واحد، وبعد اطلاق رحلة الحجيج بيومين فقط[٩٧]، ولكثرة الضحايا قرّر العديد من الأهالي عدم الذهاب في موسم الحج هذه السنة لانشغالهم بالموتى، وأمّا الذين ذهبوا مع القافلة فكان بينهم مصابون بالمرض، ممّا أدى إلى انتشاره بينهم، وموت الكثير منهم في طريق الرحلة[٩٨]، وأشارت الروايات أن من بين الضحايا ابن وابنة أمير الحج في الرحلة علاء الدين[٩٩] أقبغا بن عبد الله التركماني (ت٨٤٤هـ)[١٠٠]، وفي وباء العام (٨٨١هـ) الذي مكث في مصر لمدّة احد عشر شهراً، خرج الحجيج من القاهرة إلى مكّة المكرّمة والوباء منتشراً في ديارهم، وكان خروجهم في الرحلة في شهر شوال، أي تأخّرت عن موعد انطلاقها قرابة ثلاثة أشهر[١٠١]، ولكنّ كان الوباء ينتظرهم أيضاً في الديار المقدّسة، إذ كانت أمراض الحمّى ووجع البطن منتشرة هناك، وتقتل نحو (٤٠) شخصاً في اليوم الواحد، غير أن حدّة الأمراض بدأت تتناقص عند وصول حجّاج مصر، وتمكّنوا من العودة بسلام إلى موطنهم في ذي الحجة من العام أعلاه بعد أدائهم شعائر فريضة الحج[١٠٢]، وصوّر ابن أيّاس فرحتهم بسلامة العودة قائلاً:(("وفيه دخل مبشّر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة"))[١٠٣].

ثالثاً: أثر الأوبئة في الصحوة الدينية للمجتمع في مصر وبلاد الشام:

ساهمت الأوبئة التي أصابت المجتمع في بلاد الشام ومصر آنذاك في صحوة أبناها دينيّاً، بعد أن دق ناقوس خطر الموت أبواب بيوتهم، ودخلها دون استئذان او سابق انذر، ممّا دفعهم في الرجوع إلى الله ﷻ، والتقرّب إليه بالعبادات وفعل الخيرات إمّا رجاءً منه لرفع البلاء عنهم، أو طلباً في حسن الخاتمة أن كان قد قدّر لهم الموت بهذا الوباء، ومنها:

١٠ اعمار المساجد:

شهدت المساجد في مصر وبلاد الشام اضطراباً كبيراً أيام وقوع الأوبئة لاستقبالها العدد الكبير من الأموات آنذاك، ورغم التحدّي الكبير التي واجهته آنذاك إلا أن عدداً منها بقيت مفتوحة تأدّي واجبها كدور للعبادة ومكان تغسيل وتكفين ضحايا الأوبئة، وأشهر هذه المساجد

في مصر مسجد باب النصر، والمسجد الحاكمي، والبياطرة، فضلاً عن جامع الأزهر، إلى جانب القيام ببناء المساجد والعناية بها[١٠٤]، منها الشروع ببناء الجامع المؤيّدي في القاهرة خلال طاعون العام (٨١٨هـ) الذي ضرب مصر والقاهرة[١٠٥]، من قبل السلطان المؤيد شيخ الظاهري (ت٨٢٤هـ)[١٠٦]، واستمر العمل به إلى العام (٨١٩هـ) حيث كان الطاعون قد عاد الى مصر مرّة اخرى بعد زواله في العام السابق[١٠٧]، وفي شهر ذي القعدة من العام (٨٢٢هـ) عندما فشت أمراض الحميّات في مصر وقتلت فيها خلقاً كثيراً[١٠٨]، أكّد محتسب القاهرة صدر الدين بن العجمي (ت٨٣٣هـ)[١٠٩] وقتها ضرورة العناية بالمساجد وتطهيرها، منها أنه منع النساء من عبور المسجد الحاكمي والمرور فيه، وألزم الناس الّا يمرّوا فيه بنعلهم، ومنع اختلاط الرجال والنساء فيه، ولعب الصبيان داخله[١١٠].

٠٢ تحرّى الأعمال الصالحة وبذل الصدقات :

سعى ابناء المجتمع في مصر والشام حكّاماً ومحكومين أثناء شهودهم الأوبئة إلى تحرّي كل عمل صالح في سبيل التقرّب إلى الله ﷻ، طلباً منه لرفع غمّة الوباء عنهم، كقراءة القرآن الكريم، والحديث الشريف، وترديد الأدعية الدينية، فضلاً عن سعيهم في أعمال الخير وبذل الصدقات بين الناس، ففي أوبئة العامين (٤٤٦هـ)، و(٤٤٨هـ) التي وقعت في مصر، عمّ الموت وبلغت اعداد الضحايا الألوف[١١١]، فتكفّل حينها الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ابو تميم معد بن علي العبيدي (ت٤٨٧هـ)[١١٢] بتكفين ثمانين ألف ميتاً من ماله الخاص[١١٣]، وعندما حلّ طاعون العام (٧٤٩هـ) بمصر والشام[١١٤]، تطوّع الاهالي بمصر في صناعة التوابيت، ودكك غسل الموتى في سبيل الله ﷻ[١١٥]، وأجتمع الناس في الجامع الاموي بدمشق وقرأوا صحيح البخاري في ثلاثة ايام بلياليها، ثمّ خرجوا إلى المصلّى مع صبيانهم وكشفوا عن رؤوسهم وضجوّا بالدعاء لمدّة ثلاثة أيام حتى زال عنهم الوباء[١١٦]، وفي مصر نودي بأن يجتمع الناس في المساجد ومعهم مصاحفهم، فلبّى المصريين النداء، منها في قبة النصر في القاهرة، ومصلّى خولان، والجامع الأزهر، حيث قرأوا القرآن الكريم، وصحيح البخاري، وتضرّعوا بالدعاء في صلواتهم لعدّة أيام[١١٧]، كما اجتمع كثير من أهالي مصر منهم قاضي القضاة والأطفال اليتامى في المسجد الحاكمي، والجامع الأزهر في وباء العام (٧٩٠هـ)، وقرأوا صحيح البخاري ودعوا الله ﷻ أن يرفع عنهم الطاعون[١١٨]، وفي سنة (٨٠٦هـ) حين انتشرت الحميّات والسعال في مدن مصر وفشا الموت[١١٩]، تجرّد أعيان مصر بتكفين ودفن

الموتى احتساباً لوجه الله ﷻ، ومنهم ناظر الجيش والديوان الخاص، وكاتب السر في مصر سعد الدين بن غراب (ت٨٠٨هـ)[١٢٠]، إذ بلغ عدد من واراهم الثرى نحو (١٣٠٠٠) ميتاً، حتى صار مضرباً للمثل آنذاك، وسمّيت سنة الوباء باسمه فيقال: فصل ابن غراب[١٢١].

وعمّت الامراض الحادّة والطاعون المدن المصرية سنة (٨٠٨هـ)[١٢٢]، حتّى طال المرض السلطان الناصر فرج بن برقوق المملوكي (ت٨١٥هـ)[١٢٣] فقام ببيع فرساً بمائتي ألف درهماً وتصدّق بها[١٢٤]، وفي طاعون السنة (٨٢٢هـ) أمر السلطان المؤيد شيخ الظاهري (ت٨٢٤هـ)، بأن ينادى في الناس بصيام ثلاثة أيّام وبعدها يخرجون إلى الصحراء يدعون الله ﷻ ان يرفع عنهم الطاعون، فامتثل اهل مصر للنداء وصاموا ثلاثة أيّام، وخرج قبلهم من يُعد الطعام للناس في تربة الملك الظاهر برقوق العثماني (ت٨٠١هـ)[١٢٥]، حيث أحضروا الأبقار والأغنام وباتوا هناك يهيئون الخبز والطعام، ثمّ توجّه السلطان المؤيّد بعد صلاة الفجر إلى العراء، لابساً الثياب البالية، وعلى كتفيه مئزراً من الصوف، راكباً فرسه المغطى بقماش بسيط لا ذهب فيه، ولا فضة ولا حرير، وكان مكسوراً يكثر من تلاوة القرآن الكريم والتسبيح، ولحق به الناس أفواجاً أفواج من العلماء والفقهاء ومشايخ الربط والخوانق وعامّة الناس بينهم الأطفال، يسرون بين راكب وماش، رافعين الأعلام والمصاحف، يهلّلون ويكبّرون بصوت عالٍ، ولمّا التقوا بالسلطان بسط يديه ودعا الله ﷻ وهو يبكي وينتحب، والجموع تؤمّن على دعائه، ثمّ توجهوا الى تربة الملك الظاهر، ومدّت الأطعمة للناس دون أن يمنع أحد، ثم ذبح السلطان بيده الذبائح تقرّباً لله ﷻ، وكانت عدّتها (١٥٠) كبشاً، و(١٠) بقرات، وجاموستين، وجملين، وهو يبكي ودموعه تنهال على لحيته، ثمّ غادر بعدها، فوزّعت صدقات اللّحوم على المساجد والزوايا والخوانق وكل فقير، فضلاً عن توزيع (٢٨٠٠٠) رغيف خبز، وأخذ الطاعون من يومه بالتناقص[١٢٦]، ومن هذه الرواية التي تغلّفها أجواء الإيمان والانكسار والخضوع والتضرّع لله تعالى والفرار إليه ليرفع عنهم هذه الأوبئة التي أهلكتهم، إذ علموا الّا سبيل للخلاص منها الّا بالرجوع إلى الله ﷻ .

وفي وباء العام (٨٣٣هـ) تمرّض يوسف ابن[١٢٧] السلطان الاشرف برسباي (ت٨٤١هـ)، وعندما شفي تصدّق عنه بوزنه فضة[١٢٨]، ثمّ صام الناس ثلاثة أيّام، وخرجوا بعدها إلى الصحراء وهم يدعون ويبكون، ولكنّ الوباء زاد بعد ذلك وزادت الأراجيف في نفوسهم[١٢٩]، كما جيء بأربعين شريفاً كلّ منهم اسمه محمداً، وتحشّد معهم الأهالي في الجامع الأزهر حيث

قرأوا القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة، ودعوا الله ﷻ برفع الوباء، ثم صعد الاشراف الاربعون على سطح الجامع، وأذنوا جميعهم أذان العصر وانفضوا بعدها، غير ان الطاعون زادت وطأته أكثر من السابق[١٣٠].

٠٣ تجفيف منابع الفساد الديني:

بعد أن آمن اهل الشام ومصر أن انتشار الفساد في المجتمع هو أحد اسباب نزول الوباء فيهم كما أسلفنا ذكره، همّوا في القضاء على مظاهره، ومنع حدوث أيّ فعل ينافي تعاليم الدين الإسلامي، منها منع خروج النساء إلى الترب والتشديد بذلك أبّان انتشار الأوبئة في القاهرة سنة (٨٢٤هـ)[١٣١]، وعند تفشّي الوباء في الشام سنة (٨٣١هـ) أمر السلطان الاشرف برسباي بإراقة الخمور وتتبّع أماكن بيعها، ومنع استيرادها من بلاد الافرنج، فضلاً عن منع عصير الزبيب، وحرق الحشيش وأدواته في دمياط[١٣٢]، وعند تفشّي الطاعون في حلب، ودمشق والقاهرة سنة (٨٤١هـ)، أظهر أهل حلب التوبة، وأغلقوا محال الخمور، ومنع الواقفات للبغاء، والشباب المترصّدين لعمل الفاحشة، وفُعل مثل ذلك في دمشق[١٣٣]، وكذلك كُسّرت الكثير من جرار الخمور من قبل محتسب القاهرة دولات خجا الظاهري (ت٨٤١هـ)[١٣٤]، إذ بلغ عدد الجرار التي كسرها (٦٣٠٠٠) جرة، وقد عرض أصحابها الرشى بمبالغ كبيرة للمحتسب مقابل عدم فعل ذلك، إلّا انّه لم يستطع مخالفة أمر السلطان الاشرف لتشديده في تنفيذه[١٣٥]، وقد شمل هذا القرار خمّارات اليهود والنصارى أيضاً[١٣٦]، كما منع المحتسب دولات بأمر من السلطان النساء بعدم الخروج إلى الأسواق او السير في الطرقات[١٣٧].

المبحث الثالث: الأوبئة وآثارها النفسيّة على المجتمع في مصر وبلاد الشام:

تركت الأوبئة التي عصفت بأرض مصر والشام آثاراً نفسيّة كبيرة في أفراد المجتمع هناك، فما إن يقع الوباء حتى تُصاب الأنفس بالهلع، وتبلغ القلوب الحناجر، وتضيق بهم الصدور والأرض معاً، ولا مفرّ من الموت الّا بالموت، هكذا بدت الأحوال النفسيّة لكثير من أفراد المجتمعين المصري والشامي آنذاك، بعد أن اجتمعت عليهم العديد من الأسباب أو العوامل التي رافقت وقوع الأوبئة ودفعت بنفسيتهم نحو الانهيار، وهي كالآتي:

أولاً: عوامل انهيار الوضع النفسي لدى أفراد المجتمع في مصر وبلاد الشام:

٠١ تكرار وقوع الأوبئة وطول مدّتها:

أنّ أحد أهم العوامل التي أدّت إلى تردّي الحالة النفسية لأفراد المجتمع في كلا البلدين

مدار البحث هو كثرة أو تكرار وقوع الأوبئة منذ القرن الخامس حتى العاشر الهجريين، فضلاً عن طول مدّة بقاء بعضها متفشّياً بين الناس، منها على سبيل المثال لا الحصر تكرار وقوعها في السنوات (٤٤٦هـ)، (٤٤٧هـ)، و(٤٤٨هـ)[١٣٨]، ووقوع الوباء في مصر سنة (٤٥٥هـ) واستمراره الى العام (٤٥٦هـ)[١٣٩]، وفي القرن السادس الهجري تواتر حدوث الأوبئة خلال الأعوام (٥٤٣هـ)، (٥٤٩هـ)، (٥٧٥هـ)، (٥٨١هـ)، و(٥٩٢هـ)[١٤٠]، وفي القرن السابع الهجري تكرّرت الأوبئة ما بين مدن الشام ومصر خلال السنوات (٦١٢هـ)، (٦١٥هـ)، (٦١٦هـ)، (٦٣٣هـ)، (٦٥٦هـ)، و(٦٩٥هـ)[١٤١]، وكذلك تكرّرت بشكل كبير في القرن الثامن الهجري في الأعوام (٧٠٩هـ)، (٧٢٠هـ)، (٧٢٣هـ)، (٧٢٧هـ)، (٧٣٩هـ)، (٧٤٨هـ)، (٧٥٠هـ)، (٧٥٤هـ)، (٧٦٠هـ)، (٧٦١هـ)، (٧٦٢هـ)، (٧٦٤هـ)، (٧٦٥هـ)، (٧٦٩هـ)، (٧٧٠هـ)، (٧٧١هـ)، (٧٧٢هـ)، (٧٧٤هـ)، (٧٧٥هـ)، (٧٧٦هـ)، (٧٧٧هـ)، (٧٧٨هـ)، (٧٧٩هـ)، (٧٨١هـ)، (٧٨٢هـ)، (٧٨٣هـ)، (٧٨٤هـ)، (٧٨٧هـ)، (٧٨٩هـ)، (٧٩٠هـ)، (٧٩١هـ)، و(٧٩٩هـ)[١٤٢]، ويلاحظ كثرة الأوبئة التي وقعت في هذا القرن، ومنها ما تكرّر حدوثه بعد كل سنة أو سنتين أو ثلاث، وهناك بعض الأوبئة طال أمد بقائها لسنة وأكثر كطاعون السنة (٧٤٨هـ) الذي دخل مصر، وبقي فيها الى سنة (٧٤٩هـ)، ثمّ بعدها انتقل الى الشام قابعاً فيها الى العام (٧٥٠هـ)[١٤٣]، كما أستمر الطاعون سنة (٧٧٤هـ) في دمشق لمدّة ستة أشهر، ومصر سبعة أشهر[١٤٤].

وفي القرن التاسع الهجري وقعت الأوبئة في السنوات (٨٠٠هـ)، (٨٠٢هـ)، (٨٠٦هـ)، (٨٠٧هـ)، (٨٠٨هـ)، (٨٠٩هـ)، (٨١٣هـ)، (٨١٤هـ)، (٨١٥هـ)، (٨١٦هـ)، (٨١٧هـ)، (٨١٨هـ)، (٨١٩هـ)، (٨٢٠هـ)، (٨٢٢هـ)، (٨٢٣هـ)، (٨٢٤هـ)، (٨٢٥هـ)، (٨٢٦هـ)، (٨٢٧هـ)، (٨٢٨هـ)، (٨٢٩هـ)، (٨٣٠هـ)، (٨٣١هـ)، (٨٣٢هـ)، (٨٣٣هـ)، (٨٤٠هـ)، (٨٤١هـ)، (٨٤٢هـ)، (٨٤٧هـ)، (٨٤٨هـ)، (٨٥٢هـ)، (٨٥٣هـ)، (٨٥٤هـ)، (٨٥٥هـ)، (٨٥٦هـ)، (٨٥٩هـ)، (٨٦١هـ)، (٨٦٢هـ)، (٨٦٣هـ)، (٨٦٤هـ)، (٨٧٣هـ)، (٨٨١هـ)، (٨٨٢هـ)، (٨٨١هـ)، (٨٨٨هـ)، (٨٩١هـ)، (٨٩٢هـ)، (٨٩٣هـ)، (٨٩٥هـ)، و(٨٩٧هـ)[١٤٥]، إذ يتبيّن خلال العقود الاربعة الأولى من هذا القرن تكرار وقوع أكثر الأوبئة سنة بعد أخرى، أمّا عن مدّة بقاؤها ففي العام (٨٠٦هـ) استمرّت الاوبئة منتشرة في مدن مصر لمدة سبعة أشهر[١٤٦]، وطاعون العام (٨١٣هـ) مكث في بلاد الشام لمدة اربعة عشر شهراً[١٤٧]، وثمانية

أشهر في سنة (٨٣٢هـ)[١٤٨]، وعشرة أشهر في مصر خلال طاعون سنة (٨٧٣هـ)[١٤٩]، وأحد عشر شهراً في سنة (٨٨١هـ)[١٥٠]، أمّا في القرن العاشر فإن الأوباء تكّرر وقوعها في مدن مصر والشام في السنوات (٩٠٢هـ)، (٩٠٣هـ)، (٩٠٤هـ)، (٩٠٩هـ)، (٩١٠هـ)، (٩٣٠هـ)، (٩٣٩هـ)، (٩٦٢هـ)، و(٩٧١هـ)[١٥١]، ومن الجدير بالإشارة هنا أنّ افراد المجتمع كانوا خلال هذه القرون في انهيار نفسي وخوف مستمرّين من تكرار وقوع الأوبئة، لدرجة إذا تأخّر عنهم وقوع الوباء لسنوات يُنعت ذلك الوباء بالمشهور، وذلك ما أكّده المؤرّخ ابن إيّاس عن تأخر طاعون العام (٨٩٧هـ) عن أهل مصر قائلاً: (("وكان طاعوناً مهوّلاً ... وقد تأخّر الطاعون عن ميجاله ستة عشر سنة لم يدخل مصر، وكان هذا الطاعون من الطواعين المشهورة بموجب إبطائه هذا المدّة"))[١٥٢].

٠٢ كثرة أعداد الموتى:

خلّفت الأوبئة التي تكرّر وقوعها في مصر والشام في القرون مدار الدراسة أعدادًا كبيرة من الأموات، امتلأت بها المساجد والشوارع والأسواق والمقابر وغيرها من الأماكن، وخلت المدن من الحياة، وأضحت مدن أشباح، منظرها يفزع القلوب، ويفجع الأنفس، وما زاد الأمر سوءً على الأهالي آنذاك الموت السريع للمصابين وقلّة الناجين منهم، ففي وباء العام (٤٤٦هـ) بلغ عدد الموتى الذين تمّ تكفينهم في مصر(٨٠) ألف نفساً[١٥٣]، وفي وباء سنة (٥٩٢هـ) بلغ عدد من يموت في اليوم الواحد في مصر والقاهرة (٢٠٠) شخصاً، وزاد العدد لدرجة عدم تمكّنهم من تكفين أو دفن الكثير من الجثث لقلّة وجود حفّاري القبور، فانتشرت الجنائز في الطرقات، والأحياء، ويمكن أن يتصوّر كيف هو منظر هذه الجنائز المرميّة على الطرقات دون تكفين، فيمضي عليها الوقت فتتفسخ، ومدى تأثير ذلك في انهيار نفسية الأهالي[١٥٤]، أمّا عن أهوال وباء سنة (٦٩٥هـ) فقد بلغ عدد من يموت كل يوم في مصر والقاهرة نحو (٧٠٠) ميتاً، وفي شهر واحد قرابة (١٢٧) الف ميتاً، حيث عُلّقت الجثث من اليدين أو القدمين في شباك على ظهور الجمال، وعزّ وجود من يحفر القبور، وصارت الجثث تدفن في حفرة كبيرة رجالاً، ونساءً، وأطفال، أو ترمى في الآبار حتى تمتلئ فتردم، وكثير منها القي في نهر النيل فطفت الأجساد يوسقها تيار النهر، ومات الكثير من الناس في أطراف البلد، فبقيت جثثهم في العراء حتى أكلتها الكلاب[١٥٥].

وفي سنة (٧٤٩هـ) أهلك الطاعون أهل مصر والشام، إذ بلغ عدد الاموات في القاهرة

فقط خلال شهري شعبان ورمضان نحو (٩٠٠) ألف ميّتاً، وفي دمشق (٤٠٠) نفساً، حُملت بعضها فوق بعض على النعوش، ودراريب الحوانيت، وفي اقفاص الطعام، وبقي منها الكثير ملقى على قارعات الطرق، وفي الأسواق[١٥٦]، وبدت بعض مدن الشام خالية تماماً من سكّانها، إذ لم يبقى في بلدة لدّ[١٥٧] أي أحّد، وكذلك الرملة، وصارت الخانات وغيرها تغصّ بالجثث، وأمّا بلدة جينين[١٥٨] فلم يبقى منها إلّا عجوزاً واحدة كُتب لها النجاة بعد أن خرجت منها فارّة[١٥٩]، وفي سنة (٧٥٤هـ) أودت الأمراض بحياة (٥٠) أو(٦٠) شخصاً في اليوم الواحد في القاهرة والاسكندرية وكامل الوجه البحري لمصر[١٦٠]، و(١٠٠٠) شخصاً خلال اليوم في سنة (٧٧٤هـ)[١٦١]، ومثله في حلب سنة (٧٨٧هـ)[١٦٢]، وأكثر من (١٣) ألف ميّتاً في شهر شوال من العام (٨٠٦هـ)، إذ لم ينجى أحد من مرض السعال الذي تفشّا وقتها في القاهرة ومصر[١٦٣]، ورواية أخرى تذكر أنّ عدد من مات في مدينة قوص (١٧) ألف ميّتاً، وسيوط (١١) ألف ميّتاً، ومدينة هو (١٥) ألف ميّتاً[١٦٤]، وخلت المدن في مصر وصعيدها بطاعون سنة (٨٠٨هـ)، فبلغ عدد أموات مدينة سيوط (١٠) ألف ميّتاً، وبوتيج (٣٥٠٠) ميّتاً[١٦٥].

وفي طاعون سنة (٨١٣هـ) مات من أهل دمشق أكثر من (٥٠) ألف شخصاً، حتى خلت عدّة قرى من ساكنيها[١٦٦]، وفي القاهرة والوجه القبلي (١٣) ألف ميّتاً خلال عدّة أيام من شهر صفر في العام (٨١٩هـ)، وهذا من غير الأسماء التي لم تسجّل[١٦٧]، أمّا في طاعون سنة (٨٢٢هـ) مات من أهل القاهرة خلال شهرين نحو (٧٦٥٢) ميّتاً[١٦٨]، ووصف زين الدين الملطي سرعة موتهم، وانهيار نفسيّة الناس من ذلك قائلاً: ((وكان الموت فجيّاً سريعاً بموت من يمرض في يومه وساعته، وقلّ من تمادى به مرضه ثلاثة أيام، وذعر الناس ذعراً شديداً"))[١٦٩]، وبلغ عدد موتى أهل حلب في طاعون العام (٨٢٥هـ) نحو (٧٠) ألف ميّتاً، وخلت أكثر مناطقها من الناس[١٧٠]، وفي طاعون العام (٨٣٣هـ) الذي أرعب الناس في مصر والشام، لأن الذي يصاب فيه يموت في ساعته، ولا يذهب للعلاج لانهيار نفسيته ويقينه بعدم وجود سبيل للنجاة[١٧١]، وبلغ عدد من مات بهذا الوباء في القاهرة وحدها في اليوم الواحد نحو (١٢٠٠) شخصاً[١٧٢]، وكان الناس يبيتون ليلتهم في المقابر ليتهيّأ لهم من يحفر قبور ضحاياهم، وانتشرت الجثث في الشوارع كالقطارات موضوعة جثة فوق اخرى، ودفن بعضها في حفر كبيرة، نبشتها الكلاب، وأكلت اطرافها، وحتى الحيوانات لم تسلم من هذا الوباء، إذ

تساقت الطيور من السماء وهي ميّتة، وطفت الأسماك والتماسيح في نهر النيل، والذئاب والظباء في البراري[١٧٣].

وفي القاهرة امتلأت شوارعها بجنائز موتى الطاعون سنة (٨٦٤هـ)، إذ بلغ عددها نحو (٥٠٠٠) جنازة[١٧٤]، ويذكر الملطي في كثرة أموات هذا الطاعون في مصر قائلاً: (("وعدّ من غرائب هذا الطاعون أنه قلّ من طعن فيه ويسلم، حتى قيل إنه لم يسلم في الألف واحد"))[١٧٥]، وبلغ عدد أموات مصر بطاعون العام (٨٩٧هـ) نحو (٢٠٠) ألف ميّتاً[١٧٦]، وفي القاهرة أكثر من (٨٠٠) الف مطعوناً في العام (٩٠٣هـ)[١٧٧].

إذن بلغت أعداد اموات الأوبئة في مصر وبلاد الشام الملايين خلال المدّة محور التقصّي بحسب ما ذكرته الروايات المنتقاة أعلاه، وهو رقم كبير ووقعه حينها كان أكبراً بكثير في نفوس الأهالي هناك، وأورد ابن إيّاس قصيدة للشاعر بدر الدين الزيتوني (ت٩٢٤هـ)[١٧٨] يرثي بها أهل مصر وحجم انهيار أنفس الأهالي فيها، لحزنهم على موتاهم قائلاً[١٧٩]:

ركب الطاعون وقد طلب وحمل في عسكر الأطفال
كم جرح قلوب وكم أفنا من جموع لمّا عليهم جال
كم تُرك مطعون بقي مطروح كم كُسر شجعان وأبطال

ثمّ قال:

كم رأيت ثكلة وهي حيّا شعرها ناثر من الأشواق
كم رأيت شجاع بقي ملقاً بعد ما كان في الوجود سيّار
كم رأيت دار جاءها دبيب ما ترك فيها ولا ديّار

٠٣ انتشار الحكايات الغريبة والنادرة:

انتشرت في مصر والشام خلال سنوات وقوع الأوبئة الكثير من الروايات الغريبة والنادرة التي تعجّب لها أفراد المجتمع حينها بين مصدّق ومكذّب، فضلاً عن تناقل قصص الموت العجيبة، وإنّ ما يفسّر سبب انتشار قسم من هذه الحكايات وتصديقها من بعض الأهالي رغم غرابتها، انهم كانوا يعانون من انهيار نفسيّ سبّبته لم أهوال الأوبئة آنذاك، ممّا جعل عقولهم مهيّأةً نفسيّاً لاستقبال هكذا روايات ان كانت حقيقية من عدمه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بمجرّد انتشار بعض هذه الروايات بين السكّان سيزداد اضطراب الوضع النفسي لديهم، منها

في العام (٦٩٥هـ) عندما كان الوباء منتشراً في مصر والشام، وما تزامن معه من مجاعة قاتلة أبادت الألوف[١٨٠]، انتشرت رواية غريبة في أحدى قرى دمشق رواها المؤرّخ قطب الدين اليونيني (ت٧٢٦هـ)[١٨١] وهو معاصر للوباء، وفحوى الرواية أن ثوراً كان يرعى مع صبي، وعندما شرب الماء تكلّم يحمد الله ﷻ، فتعجّب الصبي وحكى ذلك لمالك الثور، فخرج معه في اليوم الثاني ليراه، فكان ما حكاه الصبي، ثمّ خرج الناس في اليوم الثالث وشاهدوه يحمد الله ﷻ، وكلمهم أن الله ﷻ كتب على الامة سبع سنوات جدب، وبشفاعة الرسول ﷺ أبدلها الله ﷻ بالخصب، وأن الرسول ﷺ امره ان يحكي للناس ذلك، وبعدها يموت، فمات الثور بعد تبليغه الرواية[١٨٢]، وعلّق ابن تغري بردي عليها قائلاً: (("وهذه الحكاية غريبة الوقوع والحاكي لها ثقة حجّة، وقد قال: إنه استفاض ذلك بدمشق"))[١٨٣]، وفي طاعون العام (٧٤٩هـ) انتشرت حكاية في حلب بأن شوهد في وادي فريقان من الأفاعي الضخام اقتتلا لمدّة أربعة أيّام حتى انتصر أحد الفريقين، ثمّ قامت الأفاعي بقلع الأشجار، وقتل الحيوانات[١٨٤]، ومن الروايات الغريبة ابّان هذا الوباء رواها الشيخ المقرئ فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن المخزومي (ت٨٠٤هـ)[١٨٥] في القاهرة، أن الجن كانوا يقرأون عليه القرآن الكريم في بلبيس فأخبروه أن الوباء سيقع في مصر سنة (٧٤٩هـ) ويعم بين الناس، فذهب إلى مكّة المشرفة وبقي فيها حتى وقع الوباء في هذه السنة كما قال له الجن[١٨٦].

وعندما كان الطاعون منتشراً في دمشق سنة (٧٧٥هـ) روى شخصاً يدعى يعقوب الدلال[١٨٧] أنه رأى الجن في أزقة الصالحية بدمشق على الخيل كالجراد يحملون الرماح، فتقاتل يعقوب مع أحدهم وتبادلوا الطعنات، وصار يحدّث بذلك ويحلف والدمشقيين بين مصدّق ومكذّب له، ثم أصابه الطاعون ومات، فوجد من غسّله الطعنات في جسده[١٨٨]، وفي طاعون السنة (٨٢٢هـ) الذي عمّ مصر والشام، كان هناك رجلاً لديه أربعة أولاد أراد ان يفرح بختانهم قبل أن يخطفهم الطاعون، وهو في حفل الختان، كلّما كان الخاتن يكمل ولداً ويسقى شراباً محلّى من الزير، يموت الولد مباشرة، وحدث ذلك مع بقيّة أخوته، فأتّهم والدهم بتسمّم سكّين الختان، فجرح الخاتن نفسه ليبرّئ نفسه، وبعدها لاحظوا أنّ الزير كانت فيه أفعى ميّتة تسمّم على أثرها الشراب فيه، فانقلب الفرح عزاءً وانهارت الأنفس زيادة[١٨٩]، ومن قصص الموت في مصر أثناء طاعون العام (٨٣٣هـ) أن مركباً في النيل ركب فيه أربعين شخصاً قصدوا الصعيد، وهم في الطريق ماتوا جميعهم، وكان هناك ثمانية عشر صيّاداً اجتمعوا في

مكان، فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر فجهّزهم الأربعة، فمات منهم في السير ثلاثاً، فلمّا وصل الآخر بهم إلى المقبرة مات هو أيضاً[١٩٠]، وفي طاعون العام (٨٧٣هـ) في مصر جاء أحد الجنود بحصاة منقوش عليها عبارة (قرُب الوقت، اعتبروا واتّقوا الله) بخط ناتئ وكتابة غريبة لطيفة بغير نقط، أدّعى أنّه رآها تتحرّك وتمشي فالتقطها، فحصل للناس خضوع واستكانة لسماعهم الحكاية[١٩١]، وكذلك ذكر أحّد الجنود في مصر في وباء سنة (٨٩٧هـ) أنّه رأى ملك الموت في منامه، قال له: جئت لأقبض أرواح الكثير من الناس، للأن الطاعون قد دخل مصر، فسأله الجندي: هل تقبض روحي؟، فقال له ملك الموت: بعد سبعة أيّام، فأفاق الجندي من منامه مرعوباً، وكتب وصيّته، ثمّ مات بعد سبعة أيّام كما قيل له[١٩٢].

وهكذا تبيّن من خلال هذه الروايات الغريبة ان صحّت من عدمه مدى الانهيار النفسي الذي كان يعيشه أفراد المجتمع في مصر والشام آنذاك، وزاد اضطرابهم بتناقل هذه الحكايات بينهم.

٤. موت الاهل والأقارب:

كان لموت الأهل والأقارب أثراً بالغاً في انهيار نفسيّة افراد المجتمع بمصر والشام عندما عمّتهم الأوبئة، ففي العام (٥٩٢هـ) قتلت الحميّات الكثير من أهل القاهرة، ومصر، وقوص، والاسكندريّة، ولم يبق داراً إلا وفيه جنازة أو مريض أنشغل به أهله[١٩٣]، وفي طاعون العام (٧٩٤هـ) كان الشخص يموت بالطاعون فيلحقه أهله يموتون واحداً بعد الآخر حتى يفنوا جميعاً في يوم أو يومين، وما وُلد طفلاً إلّا ومات خلال يومين، ثمّ تلتحق به أمّه[١٩٤]، وهنا يمكن أن نتصوّر مدى المعاناة أو الانهيار النفسي لكل شخص عندما يشاهد أهله يموتون في الدار أمام عينه خلال ساعات معدودة واحداً تلو الآخر، ناهيك عن العناء النفسي للأم التي فقدت طفلها بعيد ولادته، وفي وباء سنة (٨٠٩هـ) الذي حصد الآلاف من المصريين، يذكر المقريزي أن رجلاً فقيراً كان له ولداً صغيراً كيّساً، يحبّه كثيراً، وكان يقول لو مات ولدي هذا لمت عليه من الأسف، وبالفعل قدّر الله ﷻ أن يموت ابنه بالوباء، وما إن انتهوا من غسله حتى مات والده حزناً عليه، فساروا بجنازتيهم معاً، ودفنوا متجاورين[١٩٥]، وفي طاعون سنة (٨١٩هـ) في مصر كثير من الدور يموت من أهلها العشرة فصاعداً[١٩٦]، أمّا في طاعون العام (٨٣٣هـ) ودّع كثير من أهل مصر والشام أهلهم وأقاربهم منهم المؤرّخ ابن تغري بردي الذي فقد أخوته وابناؤهم فيه، وبيّن مدى أسفه عليهم ومنه أخوه اسماعيل قائلاً: ((وممات من

إخوتي وأولادهم سبعة أنفس ما بين ذكور وإناث، وأعظمهم أخي إسماعيل، فإنه مات وسنّه نحو العشرين سنة، وكان من محاسن الدّهر"))[١٩٧]، وكان في مقابر القاهرة يسكن ثلاثة آلاف سوداني، مات أغلب أهلهم ولم يبقى منهم إلّا القليل، فصعقوا من صدمة خسارتهم أقاربهم فغادر النوم عيونهم، أذ يصوّر المقريزي حجم انهيارهم نفسيّاً قائلاً:(("وباتوا ليلتهم سهارى لا يأخذهم نوم، لشدّة ما نزل بهم من فقد أهليهم"))[١٩٨]، وفي طاعون العام (٨٩٧هـ) في مصر، يُذكر أنه كان لرجلٍ خمسة أولاد طعنوا كلهم في يوم واحد، وماتوا كلّهم في يوم واحد[١٩٩]، وما أعظمها من مصيبة في فقد الوالد لولده، فما هو حاله إذا فقدهم جميعهم.

٥. قيود واجراءات السلطة أبّان وقوع الاوبئة:

عندما وقعت الأوبئة في مصر والشام، رأى رجال الدين أن كثرة ما يُرتكب من معاصي في المجتمع، وخروج النساء الى الاسواق والترب متبرّجات غير منقّبات هي من أهم اسباب حلول الوباء بديارهم[٢٠٠]، فاتّخذت السلطة الحاكمة إجراءات صارمة للحد من هذه المظاهر أملاً في الخلاص من الأوبئة، غير أن هذه الإجراءات أثقلت على أنفس الناس فوق ما كانت مثقلة به من هموم بسبب موت الأهل والاقارب بالطاعون، منها على سبيل المثال في وباء العام (٨٢٤هـ) مُنعت النساء من الخروج الى المقابر في القاهرة وشدّدت السلطة على تنفيذ ذلك دون تهاون[٢٠١]، وفي طاعون سنة (٨٣٣هـ) أمر السلطان الأشرف برسباي بمنع الناس من ارتكاب المعاصي وتوعّد المخالف بالشنق، وكذلك أمر بعدم خروج النساء الى الترب وتعاقب المخالفة بالتغريق[٢٠٢]، وفي وباء سنة (٨٤١هـ) عندما لاحظ السلطان الاشرف تساهلاً في تنفيذ إجراءات الحد من مظاهر الفساد في المجتمع، قرّر استبدال محتسب القاهرة، وطلب أن يرشّحوا له شخصاً شديداً لا يرحم، فذكروا له عدّة أسماء فرفضها، وذكر لهم انّ لديه شخصاً ملائماً لهذه المهمّة وهو ليس بمسلم ولا يخاف الله، ثمّ اختار دولات خجا الظاهري سالف الذكر، فأسند إليه منصب محتسب القاهرة، وأمره بأن يمنع النساء من الخروج إلى الأسواق والترب والتشديد على تنفيذ ذلك دون رحمة، ونفّذ دولات أمره، وعاقب كثيراً من النساء المخالفات، فخلت الشوارع منهن[٢٠٣]، فانهارت أنفس النساء لما لحق بهن من معاناة جرّاء حبسهن في المنازل، ويصف ابن تغري بردي وضعهن النفسي المتدهور قائلاً: (("وقد حلّ بالناس من الأنكاد والضرر ما لا يوصف من تزايد الطاعون، وتعطل كثير من البضائع المبتاعة على النسوة لامتناعهن من المشي في الطرقات، وأيضاً ممّا نزل بالنسوة

من موت أولادهن وأقاربهن، فصارت المرأة يموت ولدها فلا تستطيع أن ترى قبره خوفاً من الخروج إلى الطرقات، ويموت أعز أقاربها من غير أن تزوره في مرضه، فشقّ ذلك عليهن إلى الغاية، هذا مع تزايد الطاعون"))[٢٠٤]، فشفع كثير من أرباب الدولة لدى السلطان بأن يخفّف عنهن من هذه الإجراءات لما لحق بهنّ من ضرر نفسي، فسمح السلطان بخروج الإماء إلى الأسواق كاشفات عن وجوههنّ حتى لا تتنكّر الحرّة بالنقاب على انها جارية فتخرج، كما سمح للعجائز ان تخرج لقضاء حوائجهنّ، وأن تخرج النساء إلى الحمّامات وعدم البقاء إلى الليل، وشدّد دولات على تنفيذ إجراءات المنع الباقية والاستثناءات الممنوحة لهن، ومعاقبة المخالفات منهن أشد العقوبات[٢٠٥].

٠٦ تناقل أخبار الأوبئة في البلدان والمدن المجاورة:

أنّ كثرة تكرار الأوبئة وما خلّفته من خسائر بشرية جسيمة في مصر والشام، وسرعة انتشارها بين المدن، صار الناس على يقين باعتقادهم أنه لو داهمهم الوباء مرّة اخرى فلا مفرّ من الموت، لذلك بمجرّد ورود أخبار انتشار الوباء كالطاعون مثلاً في البلدان أو المدن المجاورة لهم تضطرب أحوالهم وتنهار أنفسهم استعداداً للموت أو فراق الأحباب، أو ورود أخبار كثرة وفيّات الوباء في البلدان أو المدن المجاورة فينعكس ذلك سلباً على احوالهم، ومن شواهد ذلك في وباء العام (٨١٩هـ) تناقل الناس في القاهرة أخبار هجوم الوباء في المشرق والمغرب، وأن اصبهان وفاس خلت تماماً من سكّانها، فأثّرت هذه الأخبار في نفوس كل من سمعها[٢٠٦]، وفي وباء سنة (٨٣٣هـ)، تداول أهل القاهرة قبل وقوع الوباء فيهم أخبار انتشار الطاعون وشناعته في بلاد الروم، وكذلك في مدن مصر كالنحريرية، ودمنهور وغيرها من مدن الوجه البحري، فاضطربت أنفس الناس في القاهرة، وصاروا يلهجون بدخوله مدينتهم، وحتى الأطفال في الشوارع يتكلّمون بذلك، فوقع ما كانوا يخشوه، وخاف أهل مصر عندما وردهم خبر انتشار الطاعون في غزّة سنة (٨٦٤هـ) ولهجوا بأنّه سوف يدخل بلادهم أيضاً، وكذلك عندما سمع أهل القاهرة خبر ظهور الطاعون في الاسكندرية (٨٧٣هـ) أُرجفوا بأنّه سيجتاح مدينتهم، واضطربت أحوالهم أيضاً عندما علموا بفشو الطاعون في دمياط وفارسكور وأنه قادم إليهم[٢٠٧].

٠٧ الاضطراب الاقتصادي والأمني:

عندما تقع الأوبئة تضطرب الأوضاع الاقتصادية في البلد، وعادة ما يرافق ذلك تدهوراً في الوضع الأمني، لاسيما إذا رافق الوباء جفافاً أو برداً شديداً يؤدّي إلى قلّة المواد الغذائية وغلاء اسعارها، فيترتب على ذلك حدوث المجاعات مع انتشار الأوبئة، فيتبعها حدوث حالات السرقة في الأحياء من قبل ضعاف النفوس، مستغلّين انشغال الناس بهموم الوباء، فيتخلخل الأمن الداخلي في المدينة، فتجتمع كل هذه المصائب على رؤوس الأهالي تدفعهم نحو الانهيار النفسي، ومن أمثلة ذلك خلال العام (٨٠٦هـ) في القاهرة، كان الشتاء بارداً جداً فشا فيه السعال والحمّى بين الناس، وتزامن معه مجاعة قاتلة، فذهب ضحيّة اجتماع هذه الظروف كثير من الأموات، اذ بلغ عدّتها (١٠٠٠) شخصاً في اليوم[٢٠٨]، وكذلك في العام (٨٢٢هـ) حلّ الجفاف في الوجه البحري من مصر، فعمّ الخراب في القرى بعد ان شحّت الزروع، واضطرب وضع السوق، ومعه انتشرت الحميّات بين الناس التي كانت تقتل (٣٠) شخصاً في اليوم، ورافق ذلك اضطراباً أمنيّاً، فأثقل ذلك هموم الناس كثيراً في مصر[٢٠٩]، وعبّر المقريزي عنها قائلاً: ((وقد شمل الخراب قرى أرض مصر، ومع ذلك فالأحوال متوقفة، والأسواق كاسدة، والمكاسب قليلة، والشكاية عامة، لا تكاد تجد أحداً إلا ويشكو سوء زمانه، وقد فشت الأمراض من الحميّات، وبلغ عدد من يرد الديوان من الأموات نحو الثلاثين في اليوم، والظلم كثير، لا يتركه إلا من عجز عنه"))[٢١٠]، وفي سنة (٨٦٤هـ) كان الطاعون منتشراً في مصر، رافقه غلاءً مفرطاً في الأسعار، وتعدّي وجور مماليك السلطان على الأهالي، حيث انتشرت سرقة المنازل والاشخاص، فأختلّ الأمن الداخلي للمدن بشكل كبير، لدرجة ان الشخص لا يستطيع الخروج من منزله لصلاة العشاء في المسجد وأن كان بجوار بيته[٢١١]، فشقّ ذلك كثيراً على الأهالي بشهادة المؤرّخ ابن تغري بردي بقوله: ((فصارت الناس بين ثلاثة أمور عظيمة: الطاعون، والغلاء، والظلم"))[٢١٢].

ثانياً: آثار انهيار الوضع النفسي لدى أفراد المجتمع في مصر وبلاد الشام:

وبعد أن اجتمعت كل هذه الظروف الصعبة على أفراد المجتمع المصري والشامي، والتي أودت بهم إلى الانهيار النفسي العميق ترك آثاراً قاسية في طبيعة تصرّفاتهم ومعيشتهم، إذ استقرّت في قلوبهم متلازمة الخوف من الموت، ونخر الهلع اجسداهم أشد من أثر طعنات

الطاعون بجلودهم، وغشاهم التشاؤم واليأس من الحياة، وغابت عنهم أفراح الأعياد، ومنهم أختلّ عقله، وآخر أنتحر، فمن شواهد ذلك في طاعون سنة (٧٤٩هـ)، عندما قتل آلاف الناس غابت الافراح وغلّف الحزن الأجواء، إذ يصف المقريزي هذا الشعور لدى أهل مصر قائلاً: (("وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يُعرف أن أحداً عمل فرحاً في مدة الوباء، ولا سُمع صوت عناء"))[٢١٣]، وفي طاعون سنة (٨١٩هـ) في القاهرة، كان القاضي ناصر الدّين محمد بن عمر بن ابي جرادة الحلبي، نزيل القاهرة، مرعوباً أشد الرعب من الطاعون، وعندما فشا في القاهرة بهده السنة، وصار همّه الوحيد الاكثار من شرب الأدوية، وترديد الأدعية، والرُقية، وكان يتمارض حتى لا يُدعى للخروج إلى جنازة ميّت، لأنه خاف من الموت كثيراً، فقدّر الله تعالى له أن يسلم من الطاعون، لكنه توفي في سنته بمرض ثان غير معدي ألمّ به[٢١٤]، وكذلك في طاعون العام (٨٢٥هـ) اشتد الخوف بالشريف بدر الدين محمد بن أحمد الحلبي عندما دخل الطاعون حلب، وظلّ يذكر الموت، وكتب وصيّة ووضعها في جيبه ترافقه اينما ذهب، وظلّت نفسه تحدّثه بالهلاك، فحلّ به المرض أيّاماً حتّى مات، ولم يُشار في الرواية إلى أنّ سبب موته اصابته بمرض الطاعون، ويبدو انّه مات بسبب الخوف والهلع بعد أن انهارت نفسيته[٢١٥]، وفي دمشق عندما استباحها الطاعون سنة (٨٢٦هـ) أيضاً ارتعب نائب دمشق تاني بك المعروف بميق، فخرج من دمشق فارّاً من الطاعون، وظلّ يهرب منه يميناً وشمالاً حتى ارتفع الطاعون عن المدينة فعاد إليها، لكنه مات بغير الطاعون في ذات السنة أيضاً[٢١٦]، ونلاحظ في الشواهد الثلاثة أعلاه أنّ الذين ماتوا في سنوات الطاعون كلّهم ماتوا دون اصابتهم بالطاعون بل بأمراض أخرى قتلتهم يبدو أنها حلّت بهم بسبب خوفهم الشديد من الطاعون، وتردي وضعهم النفسي آنذاك.

وفي طاعون العام (٨٣٣هـ) الذي غزا مصر والشام، أُرجف الخلق به عن بكرة أبيهم، إذ يقول الملطي بهذا الشأن: (("وفيه لمّا كثر الإرجاف بأمر الطاعون وأخذ في الظهور، فصار يموت الناس زيادة على ما كان قبل ذا اليوم"))[٢١٧]، أي ان خوف الناس كان سبباً في زيادة وفياتهم آنذاك، فمن صور هذا الخوف ان الأهالي كانوا يكتبون أسماؤهم في أوراق يضعونها تحت العمائم فوق رؤوسهم، مكتوب عليها اسم وعنوان حاملها، فإذا مات وهو يمشي يتعرّفون عليه من الورقة، وغير ذلك من الغرائب على حد تعليق الملطي على هذا التصرّف منهم[٢١٨]، وهذا يعكس مدى الانهيار النفسي لدى السكّان، إذ يسير الشخص وعلى رأسه اسمه وعنوانه

يذكّره بالموت دائماً والتشاؤم واليأس من الحياة، أمّا في العام (٨٤١هـ) أثناء فشو الطاعون في مصر، وتعيين دولات خجا سالف الذكر محتسباً على القاهرة، ففي أحدى جولاته في شوارع القاهرة ليراقب النساء ويظفر بهنّ ويعذّبهن إن كانن قد خرجن من بيوتهن مخالفات لأمر السلطان، فصادف أن شاهدوا امرأة خرجت من بيتها أثناء الوباء لحاجة ملحّة، فصاح دولات بأعوانه أن يأتوا بها إليه ليضربها، فعندما جاءوا بها سقطت أمامه مغشي عليها، وأختلّ عقلها فحُملت إلى دارها مجنونة[٢١٩]، وحادثة أخرى لامرأة مات أبنها فأرادت أن تخرج في جنازته، لكنها مُنعت من قبل دولات خجا ورجاله، فانهارت نفسيّتها كثيراً ممّا دفعها في الصعود إلى أعلى دارها، ورمت نفسها من فوقه، فماتت في حينه منتحرة[٢٢٠]، فأمتعض الناس كثيراً من هذه التصرّفات من قبل السلطة التي زادت هموم الناس فوق هموم أهوال الوباء، منهم المؤرّخ ابن تغري بردي حيث انتقد اجراءات السلطان والمحتسب في منع النساء من الخروج من البيوت لعدم وقوع فاحشة الزنا قائلاً: ((" كل ذلك لعدم أهلية الحكّام، واستحسان الولاة على الخواطئ، وإلا فالحرّة معروفة ولو كانت في الخمّارة، والفاجرة معروفة ولو كانت في البيت الحرام"))[٢٢١]، ثم ساق بيت شعر شديد اللهجة اعتراضاً على السلطة ومظالمها بحق افراد المجتمع جاء فيه[٢٢٢]:

"ولو شا ربّك لخصّهم "قرون وأذناب وشقّ
بثلاثة" حوافر"

وخلال سنة هذا الوباء مرّ عليهم عيد الفطر، ولكنّ الأحزان كانت تلّفهم، والأنفس محترقة، واعتبروا أن هذا العيد من أنكد الأعياد التي مرّت بهم[٢٢٣]، وكذلك عيد الأضحى في مصر سنة (٨٨١هـ) غابت فرحته عنهم فقال الملطي فيه: ((وفيه كان عيد النّحر من نوادر الأعياد وأغربها، وكونه ما وُجد به السرور لأحد غالباً، لكثرة الموتى، والصياح عليهم، والعويل، واشتغال الناس وبالهم عن العيد بموتاهم"))[٢٢٤].

الخاتمة:

وفي خاتمة الدراسة تمّ التوصّل إلى جملة من النتائج منها:

١. آمن الكثير من أفراد المجتمع في مصر وبلاد الشام الخواص منهم والعوام ان استشراء الفساد هو السبب المباشر في نزول الوباء عليهم.

٢. تأثّر بعض أفراد المجتمع لا سيما الأطبّاء وقسم من المؤرّخين المصريين والشاميين بعقائد الاغريق حول علاقة حركة الكواكب في وقوع الأوبئة، فضلاً عن تأثيرها في اصابة المرض لفئة عمرية معيّنة، أو طبقة اجتماعية معيّنة، أو زيادة أعداد الوفيّات.

٣. أعتقد بعض أفراد المجتمع المصري والشامي بوجود علاقة بين التقلّبات المناخية خلال الفصول الأربعة وأثرها في حدوث الأمراض في جسد الانسان استناداً الى نظرية الاخلاط والأركان الاربعة التي تبنّاها الفلاسفة اليونان القدماء.

٤. تأثّر قسم من أفراد المجتمع بعقيدة عرب الجاهلية بأنّ عدوى الطاعون قائمة ضارّة بذاتها، والقسم الآخر آمن بعقيدة المسلمين بأنه لا عدوى الّا بإذن الله تعالى.

٥. تأثّرت المساجد في مصر والشام وارتبك وضعها، وكذلك الحال بالنسبة لإقامة الصلاة المكتوبة فيها، لاستقبالها عدداً كبيراً من اموات الأوبئة، وأغلق عدداً منها لقلّة المؤذنين، فضلاً عن تضاؤل أعداد المصلّين إمّا لموتهم بالوباء، أو لانشغال المصلّي بمرضه، أو مرض أو موت أحد أفراد بيته.

٦. تأثّرت مواسم الحج ورحلاتها خلال سنوات الاوبئة، بتأخير أو تقديم موعد الرحلة، وكذلك إحجام بعض أفراد المجتمع عن إداء فريضة الحج لانشغالهم بمرضاهم أو موتهم قبل السفر، أو خروج مصابين في قافلة الحج فينتشر المرض بينهم ويموتون وهم في طريق الذهاب.

٧. كانت الأوبئة سبباً في رجوع أفراد المجتمع إلى الله تعالى، وذلك بتحرّي الأعمال الصالحة وبذل الصدقات، والابتعاد عن ارتكاب المعاصي، ومحاربة مقترفيها.

٨. أدّت الأوبئة إلى انهيار الوضع النفسي لأفراد المجتمع لتوفّر عوامل انهيارها وهي تكرار وقوع الأوبئة وطول مدّتها، وكثرة أعداد الموتى، وانتشار الحكايات الغريبة والنادرة، وموت الاهل والأقارب، وقيود واجراءات السلطة أبّان وقوع الاوبئة، وتناقل أخبار الأوبئة في البلدان والمدن المجاورة، فضلاً عن اضطراب الوضع الاقتصادي والامني.

٠٩ ان الانهيار النفسي الذي عاناه أفراد المجتمع في مصر والشام ترك آثاراً واضحاً في طبيعة تصرّفاتهم ومعيشتهم، إذ لازمهم الشعور المزمن بالخوف من الموت لو أصابهم الوباء، وانتابهم التشاؤم واليأس من الحياة، وتكدّرت أفراحهم.

والله من وراء القصد

Epidemics and their religious and psychological effects on society in Egypt and the Levant From the fifth century to the tenth century AH
- Historical study -

Asis. Pro. Dr. Riad Salim Awad
Iraq/ University of Kirkuk/ College of Arts/ Department of History

Abstract

During the period from the fifth to the tenth century of migration, Egypt and the Levant witnessed the occurrence of about (146) epidemics that were distributed over the cities of the two countries, these epidemics left huge losses in lives, numbering nearly millions, which greatly affected the lives of members of society at the time, especially their religious and psychological lives, the aim of the study is to shed light on these effects, and to identify the reactions of members of the community there regarding their religious and psychological lives during epidemics in their countries.

الهوامش

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت١٧٠هـ)، العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د .م: د.ت): ٨/ ٤١٨؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر (بيروت: ١٩٩٣م):١/ ١٨٩؛ الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي وآخرون، دار الهداية (د.م : د.ت): ١/ ٤٧٨ .

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي الحسيني (ت٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٧م): ٣/ ٩٥؛ الملطي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء الظاهريّ (ت٩٢٠هـ)، نيل الأمل في ذيل الدول، تح: عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (بيروت: ٢٠٠٢م): ٤/ ٢١٠.

(٣) المقريزي، م . ن : ٧/ ٣٥٠؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي (مصر: ١٩٦٩م): ٣/ ٤٣٨ .

(٤) ابن ابي اصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي (ت٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا. دار مكتبة الحياة (بيروت: د.ت): ص ٣٢٧؛ المقريزي، م . ن : ٦/ ٣٤٨ .

(٥) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر المعري (ت٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٦م): ٢/ ٣٤٠؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي (د.م:٢٠٠١م): ١٦/ ٤١ .

(٦) سورة الروم، الآية: ٤١ .

(٧) سورة الإسراء: الآية ٥٩ .

(٨) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (د، م : ٢٠٠٠م): ٢٠/ ١٠٧- ١٠٩؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، (د.م: ١٩٩٩م): ٥/ ٨٩ – ٩١.

(٩) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): ٤/ ١٤٩؛ ابن الوردي، تاريخ: ٢/ ٣٣٩ – ٣٤٠؛ المقريزي، السلوك: ٧٨/٤، ٨٠، ٨٢ .

(١٠) أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس المعري الكندي، ينظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق، بيروت: ١٩٨٦م): ٨/ ٢٧٥ .

(١١) المقريزي، السلوك: ٤/ ٩١؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب (مصر: د.ت): ١٠/ ٢١٢ .

(١٢) المقريزي، م . ن : ٦/ ٣٨٣؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٥٣؛ الملطي، نيل الأمل:٣/ ٢٨١ .

(١٣) الملطي، م . ن :٣/ ٢٩٢.

(١٤) المقريزي، السلوك: ٦/ ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥١٠؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ١٩٨- ١٩٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٤/ ٨٠؛ الملطي، م . ن : ٤/ ٣٣ – ٣٤ .

(١٥) م . ن : ٦/ ٥١١.

(١٦) سيف الدين أبو النصر برسباي بن عبد الله الدّقماقي، الملك الثاني والثلاثون في دولة المماليك، والثامن في دولة الجراكسة، تولى الحكم سنة (٨٢٥هـ)، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٩/ ٣٤٧ .

(١٧) الملطي، نيل الأمل:٤/ ٢٧٣ .

(١٨) النجوم الزاهرة: ١٤/ ٣٤٠.

(١٩) المقريزي، السلوك: ٧/ ٣٥٨ – ٣٥٩؛ ابن تغري بردي، م . ن : ١٥/ ٩٢؛ الملطي، نيل الأمل:٥/ ١٦، ١٧، ١٩، ٢٦، ٢٣، ٣٦، ٤٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٩/ ٣٤٦ .

(٢٠) المقريزي، م . ن : ٧/ ٣٥٠؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٤/ ٧١؛ ابن تغري بردي، م . ن : ١٥/ ٩٣ .

(٢١) نيل الأمل:٥/ ١٩ .

(٢٢) ابن اياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية(د.م: د.ت): ٣/٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٢٣) م . ن : ٣/ ٢٨٧.

(٢٤) م . ن : ٣/ ٢٨٧.

(٢٥) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، (د.م: ٢٠٠١ م): ٣٢/ ٥٢٠ .

(٢٦) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البلخي (ت٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب العربي (د.م: د.ت): ص ٢٣٥؛ أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط٢، دار الفكر (دمشق: ١٩٨٨م): ص ٣٤٨ .

(٢٧) ابن الوردي، تاريخ: ٢/ ٢٦٠ .

(٢٨) سورة النمل: الآية: ٦٥ .

(٢٩) ابن حنبل، مسند أحمد: ٥/ ٤١ .

(٣٠) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٣٢٧ .

(٣١) ديورَانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بيروت، تونس: ١٩٨٨م): ١١/ ١١٤ .

(٣٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٣٢٦، ٣٢٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٥/ ٥٩ .

(٣٣) ابن ابي اصيبعة، م . ن : ص ٣٢٧، ٥٦٣ .

(٣٤) ابن ابي اصيبعة، م . ن : ص ٣٢٧ .

(٣٥) ابن الوردي، تاريخ: ٢/ ٢٦٠ .

(٣٦) السلوك: ٤/ ٨٥ .

(٣٧) المقريزي، م . ن : ٦/ ٣٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٨، ١٤؛ الملطي، نيل الأمل:٣/ ٢٤٨.

(٣٨) م . ن : ٦/ ٣٤٨ .

(٣٩) إنباء الغمر: ٣/ ٨٧ .

(٤٠) السلوك: ٦/ ٤٩١؛ نيل الأمل:٤/ ٣٣ .

(٤١) م . ن : ٧/ ٦٩ .

(٤٢) المقريزي، م . ن : ٧/ ٢٠٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٤/ ٣٤٣ .

(٤٣) انباء الغمر: ٤/ ٢٢٤ .

(٤٤) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تح: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب (د.م: ١٩٩٠م): ٢/ ٣٥٧ .

(٤٥) النجوم الزاهرة: ١٦/ ١٣٧ .

(٤٦) نيل الأمل:٦/ ٧٥، ٧٧ .

(٤٧) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: فادي المغربي وآخرون، دار الرسالة العالمية (دمشق: ٢٠١٣م): ٢/ ٣٥٩؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٥٥، ١٣٥؛ الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، التعريفات، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٨٣م): ص ٢٤؛ ديورَانت، قصة الحضارة: ٧/ ١٨٨، ١١/ ١١٤؛ مصطفى، ابراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة (د.م: د.ت): ١/ ٤٦١ .

(٤٨) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٥٥ .

(٤٩) ابن ابي اصيبعة، م . ن : ص ٥٤، ٥٥)، ديورَانت، قصة الحضارة: ٧/ ١٨٨ .

(٥٠) التعريفات (ص ٢٤)

(٥١) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ١٣٥)

(٥٢) ابن ابي اصيبعة، م . ن : ص ٤٧؛ ديورَانت، قصة الحضارة: ١١/ ١١٤ .

(٥٣) الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت٣١٣هـ)، الحاوي في الطب، تح: هيثم خليفة طعيمي، دار احياء التراث العربي (بيروت: ٢٠٠٢م): ١/ ٩٠، ٤/ ٤٣٢ .

(٥٤) التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت٦٥١هـ)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت: ١٩٨٠م): ص ٢١٧؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التيمي البكري، (ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة: ٢٠٠٢م): ٢/ ٩؛ القلقشندي أحمد بن علي الفزاري (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): ٢/ ٤٣٠ .

(٥٥) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٣٢٦ .

(٥٦) المقريزي، السلوك: ٧/ ٢٠٣، ٢٠٤ .

(٥٧) النجوم الزاهرة: ١٤/ ٣٣٧، ٣٣٨ .

([٥٨]) السلوك: ٧/ ٣٥٢ .

([٥٩]) المقريزي، م . ن : ٧/ ٣٥٤ .

([٦٠]) الملطي، نيل الأمل:٦/ ٧٤، ٣٥٧ .

([٦١]) م . ن :٧/ ٣٦٩ .

([٦٢]) النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار إحياء التراث العربي (بيروت: ١٩٧٢م): ١/ ٣٥، ١٤/ ٢١٣؛ علي، المفصل: ١٦/ ٤١ .

([٦٣]) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (د.م: ٢٠٠١م): ٧/ ١٣٨؛ مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت): ٤/ ١٧٤٢.

([٦٤]) البخاري، م . ن : ٧/ ١٣٠؛ مسلم، م . ن : ٤/ ١٧٤٠ .

([٦٥]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٨/ ٥٧ .

([٦٦]) ابن الوردي، تاريخ: ٢/ ٣٤٠ .

([٦٧]) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو. ط٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع (د.م: ١٩٩٢م): ٩/ ٣٧٣؛ المقريزي، السلوك: ٤/ ٩٣ .

([٦٨]) المقريزي، السلوك: ٧/ ٢٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٤/ ٣٤٢ .

([٦٩]) البخاري، صحيح: ٤/ ١٧٥ .

([٧٠]) البخاري، م . ن : ١/ ١٣٢ .

([٧١]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٠٦ .

([٧٢]) ابن تغري بردي، م . ن : ١٤/ ٣٤١، ٣٤٢ .

([٧٣]) المقريزي، السلوك: ٤/ ٨٨؛ ابن تغري بردي، م . ن : ١٠/ ٢٠٩.

([٧٤]) بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ، ينظر: ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي (ت٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل (بيروت: ١٩٩١م): ١/ ٢١٦ .

([٧٥]) المقريزي، السلوك: ٤/ ٨٥ .

([٧٦]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٠٦ .

(٧٧) ابن تغري بردي، م . ن : ١٠/ ٢٠٠ .

(٧٨) المقريزي، السلوك: ٦/ ٤١٠ .

(٧٩) المقريزي، م . ن : ٧/ ٢٠٧ .

(٨٠) انباء الغمر: ٣/ ٤٣٨ .

(٨١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٤/ ٣٤١ .

(٨٢) ابن تغري بردي، م . ن : ١٤/ ٣٤١ .

(٨٣) م . ن : ١٤/ ٣٤١ .

(٨٤) المقريزي، السلوك: ٧/ ٣٥٤؛ ابن تغري بردي، م . ن : ١٥/ ٩٨؛ الملطي، نيل الأمل:٥/ ٢٩ .

(٨٥) الملطي، م . ن :٦/ ٨٠ .

(٨٦) الملطي، م . ن :٦/ ٣٦٤ .

(٨٧) الملطي، م . ن :٧/ ١٨٥ .

(٨٨) الملطي، م . ن :٨/ ٦٤ .

(٨٩) المقريزي، السلوك: ٥/ ٥؛ الملطي، م . ن :٢/ ٣٦ .

(٩٠) المقريزي، م . ن : ١/٢٠٤، ٢٤٣ – ٢٤٥ .

(٩١) المقريزي، م . ن : ١/ ٢٤٥ .

(٩٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٨/ ٢٧٨ .

(٩٣) المقريزي، السلوك: ٥/ ٥، ٢٧ .

(٩٤) م . ن : ٥/ ٥ .

(٩٥) المقريزي، م . ن : ٧/ ١٠؛ الملطي، نيل الأمل:٤/ ٢٨٣ .

(٩٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٤/ ٣٤٥ .

(٩٧) ابن تغري بردي، م . ن : ١٥/ ١٠٠ .

(٩٨) ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٢/ ٤٨٧؛ الملطي، نيل الأمل:٥/ ٢٨.

(٩٩) آقبغا بن عبد الله بن مامش الناصري، كان من جملة المماليك الناصرية تولّى نيابة الكرك، ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٢/ ٤٨٦ .

(١٠٠) ابن المقريزي، السلوك: ٧/ ٣٥٥؛ تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/ ١٠٠ .

(١٠١) الملطي، نيل الأمل:٧/ ١٧٨؛ ابن إيّاس، بدائع الزهور: ١٢٣/٣.

(١٠٢) الملطي، م . ن :٧/ ١٧٨ .

(١٠٣) بدائع الزهور: ١٢٣/٣ .

(١٠٤) المقريزي، السلوك: ٧/ ٣٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٤٥، ٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٠٦، ١٥/ ١٠٤؛ الملطي، نيل الأمل:٦/ ٣٦٤ .

(١٠٥) الملطي، م . ن :٣/ ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥ .

(١٠٦) شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، السلطان الملك المؤيد، سيف الدين أبو النصر الجاركسي. الرابع من ملوك الجراكسة، والثامن والعشرون من ملوك الترك، ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر: د.ت): ٦/ ٢٦٣ .

(١٠٧) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٧م): ٤/ ١٤٢؛ المقريزي، السلوك لمعرفة : ٦/ ٣٨٨، ٤٠٧)؛ الملطي، نيل الأمل:٣/ ٢٨٨، ٢٩٩ .

(١٠٨) المقريزي، م . ن : ٦/ ٥١١؛ الملطي، م . ن :٤/ ٤٨ .

(١٠٩) أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله الحنفي، ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٢/ ٢١٢ .

(١١٠) المقريزي، السلوك: ٦/ ٥١١ .

(١١١) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٣٢٦، ٥٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٥/ ٥٩ .

(١١٢) معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز نزار بن المعز معد الفاطمي، تولّى الخلافة الفاطمية في مصر سنة (٤٢٧هـ)، وبقي فيها ستون سنة حتى توفي في العام (٤٨٧هـ)، ينظر: ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية (القاهرة : د.ت): ١/ ٢٨٠ – ٢٨٢.

(١١٣) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٥٦٣ .

(١١٤) الذهبي، العبر: ٤/ ١٤٩؛ ابن الوردي، تاريخ:٢/ ٣٣٩ – ٣٤٠؛ المقريزي، السلوك: ٧٨/٤، ٨٠، ٨٢ .

(١١٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٠/ ١٩٥ .

(١١٦) ابن تغري بردي، م . ن : ٢٠٣/١٠، ٢٠٤ .

(١١٧) المقريزي، السلوك: ٤/ ٨٦ .

(١١٨) الملطي، نيل الأمل:٢/ ٢٥٨ .

(١١٩) المقريزي، السلوك: ٦/ ١٠٦– ١٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٢/ ٢٦٠؛ الملطي، م . ن :٣/ ١٠٠– ١٠٤ .

(١٢٠) سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب، ينظر: ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٢/ ٣٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٣/ ١٥٦ .

(١٢١) الملطي، نيل الأمل:٣/ ١٠٠ – ١٠١ .

(١٢٢) المقريزي، السلوك: ٦/ ١٤٦، ١٦٠؛ الملطي، م . ن :٣/ ١٣٦ .

(١٢٣) زين الدين أبو السعادات فرج بن الظاهر برقوق، السلطان السادس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، والثاني من الجراكسة، ينظر: ابن تغري بردي، مورد اللطافة: ٢/ ١٢١ .

(١٢٤) الملطي، نيل الأمل:٣/ ١٢٣ .

(١٢٥) سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص بن عبد الله العثماني الجركسي أول من ملوك مصر من الشراكسة ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٩/ ١٦ .

(١٢٦) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ١٩٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٤/ ٧٨ – ٨٠ .

(١٢٧) جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت٨٦٨هـ)، تولّى الملك بعد أبيه برسباي سنة (٨٤١هـ)، ينظر: الملطي، نيل الأمل:٤/ ٢٦٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٩/ ٤٥٦ .

(١٢٨) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٤٣٨؛ الملطي، م . ن :٤/ ٢٦٩ .

(١٢٩) الملطي، م . ن :٤/ ٢٦٧ – ٢٦٨ .

(١٣٠) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٤٣٨؛ الملطي، م . ن :٤/ ٢٧٢ .

(١٣١) الملطي، م . ن :٤/ ١٠٢ .

(١٣٢) الملطي، م . ن :٤/ ٢٣١ .

(١٣٣) المقريزي، السلوك: ٧/ ٣٤٧؛ الملطي، م . ن :٥/ ١٩ .

(١٣٤) اسند إليه منصب ولاية القاهرة أيضا، ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/ ٢١٧ .

(١٣٥) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٤/ ٧٣ .

(١٣٦) الملطي، نيل الأمل:٥/ ٢٧ .

(١٣٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/ ٩٤ .

(١٣٨) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٣٢٦، ٥٦٣ .

(١٣٩) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٢م): ١٦/ ٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٥/ ٧٤)

(١٤٠) ابن القلانسي، حمزة بن أسد التميمي (ت٥٥٥هـ)، تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر (دمشق: ١٩٨٣م): ١/ ٥٠٨؛ الأصبهاني، عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت٥٩٧هـ)، البرق الشامي، تح: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان (عمان: ١٩٨٧م): ٣/ ١٨١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت: ١٩٩٧م): ٩/ ٤٣٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: ٢٠/ ٣٨٣؛ المقريزي، السلوك: ١/ ١٨١، ٢٠٤، ٢٤٣ – ٢٤٥ .

(١٤١) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي (ت٦٦٠هـ)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٦م): ص ٤٦٤؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص

٧٣٠، ٧٤١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (د.م: ٢٠٠٣م): ١٤/ ٦٧٧؛ المقريزي، م . ن : ٢/ ٢٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٩٣ .

(١٤٢) الذهبي، العبر:٤/ ١٤٩؛ ابن الوردي، تاريخ: ٢/ ٢٦١، ٣٣٩ – ٣٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر (د.م: ١٩٨٦م): ١٤/ ٣٠١؛ المقريزي، م . ن : ٢/ ٤٣١، ٣/ ٧٤، ٩٥، ٧٨/٤، ٨٠، ٨٢، ١٨٦،٢٥١، ٢٦٧، ٣١٩، ٣٢٧،٣٤٠، ٣٦٧، ٣٧٤ – ٣٧٨، ٥/ ٥، ٢٧؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ١/ ٧٦، ٢٣١، ٣٠٢، ٣٤٣، ٣٥٤، ٤٥٦، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد: ١٩٧٢م): ١/ ٢٨٣، ٢٨٤، ٤٨٥، ٢/ ٧٠، ٣/ ٥٤، ٥/ ٤٠٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٨/ ٢٤٣، ١١/ ١٧، ٢٠٢، ٢٥١، ٣٨٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر: ١٩٦٧م): ٢/ ٣٠١؛ الملطي، نيل الأمل:١/ ٣١٢،٣٢٠، ٣٢٣، ٣٦٢، ٤١٨، ٢/ ١٥، ٢٤، ٤٢، ٦٦، ٧١، ٨١ – ٨٣، ١٠٨، ١١٢، ١٧٢، ١٨٩.

(١٤٣) الذهبي، م . ن : ٤/ ١٤٩؛ ابن الوردي، م . ن : ٢/ ٣٣٩ – ٣٤٠؛ المقريزي، م . ن : ٧٨/٤، ٨٠، ٨٢.

(١٤٤) ابن كثير، البداية: ١٤/ ٣٠١؛ المقريزي، م . ن : ٣٦٧/٤، ٣٧٤ – ٣٧٨؛ الملطي، نيل الأمل:٢/ ٤٢.

(١٤٥) المقريزي، م . ن : ٦/ ١٠٦– ١٠٧، ١٢٤، ١٤٦، ١٦٠، ١٨١– ١٨٢، ٢٥٨، ٢٧٩، ٣٥٤، ٣٨٣، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٨، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥١٠، ٧/ ٧٨، ١٧٧، ١٩٢، ٢٠٣ – ٢١٣، ٣٥٨ – ٣٥٩؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٢/ ٢٦٠، ٣٦٠، ٤٦٣، ٤٨٢، ٣/ ٨، ١٤، ٤٥، ٥٣، ٨٧، ١٩٨– ١٩٩، ٢٢٦، ٢٧٧، ٢٨٤، ٣٠٤، ٤٣٥، ٤/ ١١٦، ٢٢٥؛ ابن تغري بردي، حوادث الدهور: ٢/ ٣٢٤، ٣٥٧، ١٠/ ٢١١، ١٣/ ١٧٨، ١٤/ ٤٣، ٨٠، ٣٣٨، ١٥/ ٩٢، ١٦/ ١١٠، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦ – ١٣٩؛ ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت٨٨٤هـ)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد (الرياض: ١٩٩٠م): ٢/ ٢٦٣، ٤٣٠؛ أبو ذر، موفق الدين أحمد بن إبراهيم سبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم (حلب: ١٩٩٦م): ١/ ١٧٢؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت: د.ت): ٢/ ١٧٠، ١٠/ ١١٤؛ الملطي، م . ن :٢/ ٣٨٨، ٣/ ١٠٠– ١٠٤، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٦، ١٨٠، ٢٤٨، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٤، ٤/ ٣٣ – ٣٤، ٥٩، ١٠٢، ١١١، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٤ – ١٣٥،

١٤٣، ١٥٨، ١٧٥،٢١٠، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٦٣، ٢٦٧، ٥/ ١٦، ١٧، ١٩، ٢٦، ٣٦، ٤٢، ١٨٣ – ١٨٤، ٢٧٧، ٢٨٦، ٣١٧، ٣٥٢، ٤٣٤، ٦/ ٢٢، ٣٤، ٥٧، ٧٥، ٨٢، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٧/ ١٥٨، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥، ٣٤٣، ٨/ ١٥، ٦٤، ٩٩، ١٠٧، ٢٠٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور: ٣/ ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٨/ ٦١٦، ٩/ ٢٤٥، ٣٤٦، ٤٤٦.

(١٤٦) المقريزي، م . ن : ٦/ ١٠٦– ١٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٢/ ٢٦٠؛ الملطي، م . ن :٣/ ١٠٠– ١٠٤.

(١٤٧) المقريزي، م . ن : ٢٥٨/٦، ٢٧٩؛ ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٢/ ٤٦٣، ٤٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٣/ ١٧٨؛ الملطي، م . ن :٣/ ١٨٠ .

(١٤٨) المقريزي، م . ن : ٧/ ١٩٢، ٢٠٤؛ ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٣/ ٤٣٥؛ الملطي، م . ن :٤/ ٢٦٣.

(١٤٩) الملطي، م . ن :٦/ ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠.

(١٥٠) الملطي، م . ن :٧/ ١٥٨، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥.

(١٥١) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الصالحي (ت٩٥٣هـ)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٨م): ص ١٤٤؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٧م): ١/ ١٨، ٢٦، ٩٤، ١٤٠،١٥٠، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٣٠١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:١٠/٥٢٦ .

(١٥٢) بدائع الزهور: ٣/٢٨٦ – ٢٨٧.

(١٥٣) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص ٥٦٣.

(١٥٤) المقريزي، السلوك: ١/ ٢٤٣ – ٢٤٥.

(١٥٥) المقريزي، م . ن : ٢/ ٢٦٧ – ٢٦٨.

(١٥٦) الذهبي، العبر: ٤/ ١٤٩؛ المقريزي، م . ن : ٤/ ٨٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٢٠٦/١٠، ٢٠٨.

(١٥٧) قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر (بيروت: ١٩٩٥م): ٥/ ١٥.

(١٥٨) بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من أرض الأردنّ، ينظر: ياقوت الحموي، م . ن : ٢/ ٢٠٢.

(١٥٩) المقريزي، السلوك: ٤/ ٨٢.

(١٦٠) المقريزي، م . ن : ٤/ ١٨٦.

(١٦١) ابن كثير، البداية: ١٤/ ٣٠١.

(١٦٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٨/ ٥٠٧.

(١٦٣) المقريزي، السلوك: ٦/ ١٠٣؛ الملطي، نيل الأمل:٣/ ١٠١.

(١٦٤) المقريزي، م . ن : ٦/ ١٠٧.

(١٦٥) المقريزي، م . ن : ٦/ ١٦٠.

(١٦٦) الملطي، نيل الأمل:٣/ ٢١٥.

(١٦٧) الملطي، م . ن :٣/ ٣٠٠.

(١٦٨) المقريزي، السلوك: ٦/ ٤٩٩.

(١٦٩) نيل الأمل:٤/ ٣٤ .

(١٧٠) ابو ذر، كنوز الذهب: ١/ ١٦٧.

(١٧١) الملطي، نيل الأمل: ٤/ ٢٦٨، ٢٧٠.

(١٧٢) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٤٣٧.

(١٧٣) ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٣/ ٤٣٧؛ الملطي، نيل الأمل:٤/٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١.

(١٧٤) الملطي، م . ن :٦/ ٨٠.

(١٧٥) م . ن :٦/ ٨٠.

(١٧٦) ابن إيّاس، بدائع الزهور: ٣/٢٨٩.

(١٧٧) الغزي، الكواكب السائرة: ١/ ٣٠١.

(١٧٨) بدر الدين محمد بن محمد الزيتوني، ينظر: ابن إيّاس، بدائع الزهور: : ٣/٢٩١؛ الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الاعلام، ط١٥، دار العلم للملايين (د.م: ٢٠٠٢م): ٧/ ٥٥ .

(١٧٩) م . ن : : ٣/٢٩١

(١٨٠) الذهبي، تاريخ الإسلام: ١٤/ ٦٧٧؛ المقريزي، السلوك: ٢/ ٢٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٨/ ٥٧، ٧٩.

(١٨١) قطب الدّين موسى بن أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين عبد الله اليونيني الحنبلي، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٨/ ١٣١.

(١٨٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٨/ ٥٩.

(١٨٣) م . ن : ٨/ ٥٩.

(١٨٤) المقريزي، السلوك: ٤/ ٧٨.

(١٨٥) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٢/ ٢١٤.

(١٨٦) ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٢/ ٢١٤.

(١٨٧) لم أجد له ترجمة .

(١٨٨) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ١/ ٧٦ – ٧٧.

([١٨٩]) المقريزي، السلوك: ٦/ ٤٩٧؛ ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٣/ ١٩٩، ٢٠٠؛ الملطي، نيل الأمل:٤/ ٥٠، ٥١.

([١٩٠]) ابن حجر العسقلاني، م . ن : ٣/ ٤٣٧.

([١٩١]) الملطي، نيل الأمل:٦/ ٣٥٨.

([١٩٢]) ابن إيّاس، بدائع الزهور: ٣/٢٨٦.

([١٩٣]) المقريزي، السلوك: ١/٢٠٤، ٢٤٣ – ٢٤٥.

([١٩٤]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٠٥، ٢٠٩.

([١٩٥]) السلوك: ٦/ ١٨٢.

([١٩٦]) المقريزي، م . ن : ٦/ ٤٠٨.

([١٩٧]) النجوم الزاهرة: ١٤/ ٣٤٠.

([١٩٨]) السلوك: ٧/ ٢٠٧.

([١٩٩]) ابن إيّاس، بدائع الزهور: : ٣/٢٨٧.

([٢٠٠]) المقريزي، السلوك: ٧/ ٣٥٠؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٤/ ٧١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/ ٩٣.

([٢٠١]) الملطي، نيل الأمل:٤/ ١٠٢.

([٢٠٢]) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٤٣٩.

([٢٠٣]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/ ٩٤، ٩٥.

([٢٠٤]) م . ن : ١٥/ ٩٥.

([٢٠٥]) ابن تغري بردي، م . ن : ١٥/ ٩٤ – ٩٥.

([٢٠٦]) الملطي، نيل الأمل:٣/ ٣٠١.

([٢٠٧]) الملطي، نيل الأمل : ٤/٦،٢٦٧/ ٧٠، ٧/ ١٥٨.

([٢٠٨]) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٢/ ٢٦٠.

([٢٠٩]) المقريزي، السلوك: ٦/ ٥١١.

([٢١٠]) م . ن : ٦/ ٥١١.

([٢١١]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٦/ ١٣٦، ١٣٧؛ الملطي، نيل الأمل:٦/ ٦٣، ٦٧، ٨١.

([٢١٢]) م . ن : ١٦/ ١٤١.

([٢١٣]) المقريزي، السلوك: ٤/ ٨٨.

([٢١٤]) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ١١٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: ٩/ ٢٠٧ – ٢٠٨.

([٢١٥]) ابو ذر، كنوز الذهب: ١/ ١٦٧.

([٢١٦]) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر: ٣/ ٣١٢.

([٢١٧]) نيل الأمل:٤/ ٢٦٧.

([٢١٨]) م . ن :٤/ ٢٨٣.

([٢١٩]) المقريزي، السلوك: ٧/ ٣٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/ ٩٨.

([٢٢٠]) ابن تغري بردي، م . ن : ١٥/ ٩٨.

([٢٢١]) م . ن : ١٥/ ٩٥.

([٢٢٢]) ابن تغري بردي، م . ن : ١٥/ ٩٥.

([٢٢٣]) الملطي، نيل الأمل:٥/ ٢٧.

([٢٢٤]) م . ن :٧/ ١٧٥.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ).الكامل في التاريخ.تح: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي .بيروت: ١٩٩٧م.
- الأصبهاني، عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت٥٩٧هـ).البرق الشامي.تح: فالح حسين.مؤسسة عبد الحميد شومان .عمان: ١٩٨٧م.
- ابن ابي اصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي (ت٦٦٨هـ).عيون الأنباء في طبقات الأطباء.تح: نزار رضا. دار مكتبة الحياة .بيروت: د.ت.
- ابن اياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ).بدائع الزهور في وقائع الدهور. تح: محمد مصطفى.دار احياء الكتب العربية . د.م: د.ت.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ).الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري. تح: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة .د.م: ٢٠٠١م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ):
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. تح: محمد كمال الدين عز الدين. عالم الكتب .د.م: ١٩٩٠م.

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. تح: محمد محمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب .مصر: د.ت.
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة. تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد. دار الكتب المصرية .القاهرة : د.ت.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دار الكتب .مصر: د.ت.
- التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت٦٥١هـ). سرور النفس بمدارك الحواس الخمس. تح: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت: ١٩٨٠م.
- الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ). التعريفات. تح: مجموعة من العلماء. دار الكتب العلمية .بيروت: ١٩٨٣م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تح: محمد عبد القادر عطا. ومصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية .بيروت: ١٩٩٢م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ):
- إنباء الغمر بأبناء العمر. تح: حسن حبشي. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .مصر: ١٩٦٩م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تح: محمد عبد المعيد ضان. ط٢. مجلس دائرة المعارف العثمانية .حيدر اباد: ١٩٧٢م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة. .د.م: ٢٠٠١ م.
- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البلخي (ت٣٨٧هـ). مفاتيح العلوم. تح: إبراهيم الأبياري. ط٢. دار الكتاب العربي .د.م: د.ت.
- أبو ذر، موفق الدين أحمد بن إبراهيم سبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ). كنوز الذهب في تاريخ حلب. دار القلم .حلب: ١٩٩٦م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ):

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. تح: بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي .د.م: ٢٠٠٣م.
- العبر في خبر من غبر. تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية .بيروت: د.ت.
- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت٣١٣هـ). الحاوي في الطب. تح: هيثم خليفة طعيمي. دار احياء التراث العربي .بيروت: ٢٠٠٢م.
- الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد الحسيني (ت١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. تح: مصطفى حجازي وآخرون. دار الهداية .د.م : د.ت.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (ت٦٥٤هـ). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان. تح: فادي المغربي وآخرون. دار الرسالة العالمية .دمشق: ٢٠١٣م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ). طبقات الشافعية الكبرى. تح: محمود محمد الطناحي. وعبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع .د.م: ١٩٩٢م.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. منشورات دار مكتبة الحياة .بيروت: د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. تح: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية . مصر: ١٩٦٧م.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ). جامع البيان في تأويل القرآن. تح: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة .د. م : ٢٠٠٠م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الصالحي (ت٩٥٣هـ). مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. تح: خليل المنصور. دار الكتب العلمية .بيروت: ١٩٩٨م.
- ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي (ت٧٣٩هـ). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. دار الجيل .بيروت: ١٩٩١م.

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي (ت٦٦٠هـ). زبدة الحلب في تاريخ حلب. تح: خليل المنصور. دار الكتب العلمية .بيروت: ١٩٩٦م.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تح: محمود الأرناؤوط. دار ابن كثير .دمشق. بيروت: ١٩٨٦م.
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ). الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة. تح: خليل المنصور. دار الكتب العلمية .بيروت: ١٩٩٧م.
- ابن القلانسي، حمزة بن أسد التميمي (ت٥٥٥هـ). تاريخ دمشق. تح: سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر .دمشق: ١٩٨٣م.
- القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت٨٢١هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. دار الكتب العلمية .بيروت: د.ت.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت١٧٠هـ). العين. تح: مهدي المخزومي. وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال .د .م: د.ت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ):
- البداية والنهاية. دار الفكر .د.م: ١٩٨٦م.
- تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد سلامة. ط٢. دار طيبة للنشر والتوزيع. .د.م: ١٩٩٩م.
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح مسلم. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي .بيروت: د.ت.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي الحسيني (ت٨٤٥هـ):
- السلوك لمعرفة دول الملوك. تح: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية .بيروت: ١٩٩٧م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي. دار الكتب العلمية .بيروت: ١٩٩٧م.

- ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت٨٨٤هـ). المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد. تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. مكتبة الرشد .الرياض: ١٩٩٠م.
- الملطي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء الظاهريّ (ت٩٢٠هـ). نيل الأمل في ذيل الدول. تح: عمر عبد السلام تدمري . المكتبة العصرية للطباعة والنشر .بيروت: ٢٠٠٢م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ). لسان العرب. ط٣. دار صادر .بيروت: ١٩٩٣م.
- النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط٢. دار إحياء التراث العربي .بيروت: ١٩٧٢م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التيمي البكري. (ت٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب والوثائق القومية .القاهرة: ٢٠٠٢م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر المعري (ت٧٤٩هـ). تاريخ ابن الوردي. دار الكتب العلمية. .بيروت: ١٩٩٦م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ).معجم البلدان. ط٢. دار صادر .بيروت: ١٩٩٥م.
- **ثانياً: المراجع الثانوية:**
- أبو حبيب، سعدي. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا. ط٢. دار الفكر .دمشق: ١٩٨٨م.
- ديورَانت، ويليام جيمس. قصة الحضارة.تر: زكي نجيب محمُود وآخرين.دار الجيل. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .بيروت. تونس: ١٩٨٨م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي. الاعلام. ط١٥. دار العلم للملايين .د.م: ٢٠٠٢م.
- علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٤. دار الساقي .د.م:٢٠٠١م.
- مصطفى. ابراهيم. وآخرون. المعجم الوسيط. دار الدعوة .د.م: د.ت.